

## ( ٢٢ ) الكبر

وما يلزمه من خلال العظمة الكاذبة

الكبر وما شاكله مهلكات . نشأة الانسان ومنهاته . نتائج الكبر  
عكسية . إعجاب المرء بنفسه يفسد دينه كما يفسد دنياه فضلاً عن أخراه .  
وبيان ذلك ودليله المعجب بنفسه جاهل وإن كان عالماً . العزلة والكبر والفرق  
بينهما . تحليل لأسباب الكبر عند المتكبرين ، وبيان لفساد هذه الأسباب .  
الدواء الناجع للكبر .

قال الله تعالى : « ولا تمس في الأرض مرحاً . إنك لن تحرق الأرض  
ولن تبلغ الجبال طولا » .

... الكبر . والعجب . والاختيال . والتفيه . والزهو . والتعالى .  
والتعظيم . أسماء واقعة على معان متقاربة . هي إعجاب المرء بنفسه . واستحسان  
مافيه من الخلال . والاستهانة بالناس واستصغارهم . والتعالى على من يجب  
التواضع له : وهذا الخلق ضار بصاحبه يدل على غروره ونقص عقله . واستيلاء  
الشیطان على قلبه .

فلو فكر العاقل في شأنه وحياته وما آله وأنه خلق من نطفة مذرة . وبعد  
الموت يصير جيفة قدرة . لو فكر في ذلك ما هن عطفه عجياً . ولا مشى اختيالاً .  
وكيف يخدع المرء ويتعظم على العباد وهو يعلم أن الكبر يكسب المقت  
من الناس والبغض من الله ؟ !!

وليس من صفة تفتج عكسها إلا الكبر . فكما تكبر المرء وتعالى على  
الناس كلما انحطت منزلته في نفوسهم ، وأصبح بغيضاً الى قلوبهم : وكما

تواضع وحسنت أخلاقه — ارتفعت منزلته في قلوب أحبائه ومعاشره —  
ونال رضی الله بفضل تواضعه .

قال رسول الله ﷺ ( إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد  
على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد )

وقال حكيم :

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر \* على صفحات المساء وهو رفيع  
ولا تك كالنخاف يعاوب نفسه \* إلى طبقات الجو وهو وضيع  
فأعجاب المرء بنفسه يفسد دينه كما يفسد دنياه ، فضلا عن فساد آخرته .  
فأما فساد دينه فإنه يكون سبباً في رد عمله عليه لمنازعة للجبار الأعلى  
في صفة اختص بها ولم يسمح لأحد من خلقه أن ينازعه فيها .

قال الله تعالى : ( وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم )

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يقول الله

عز وجل : العزيز إزاري والكبرياء ردائي ، فمن نازعني شيئاً منها عذبتة .

وأما فساد دنياه ، فلأنه ينفر الناس عنه ، فيعيش بغيضاً وحيداً ذليلاً

لا يجد مؤنساً يؤنسه — ولا صديقاً مخلصاً يجالسه — وإن أمرا يتراب عليه

خسارة الدنيا والدين ، ويكون صاحبه يوم القيامة من الخاسرين ، وهو الضل

المبين ، والعذاب المهين .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لا يدخل الجنة

من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر .

وقال عليه الصلاة والسلام يحشر المتكبرون يوم القيامة في مثل صور الذر

يطوهم الناس ذرا في مثل صور الرجال — يعطوهم كل شيء من الصغار .

ثم يساقون الى سجن جهنم .

فهذا قليل من كثير مما أعده الله تعالى للمتكبرين المعجبين — الذين نفع الشيطان في أتوفهم ، فمشوا مشية الخيلاء يتدهون بأنفسهم عجباً وتيهساً كأنما لهم في أعناق الناس أطواق النعم .

وأنت لو نظرت أيها المسلم بعين الحقيقة إلى هؤلاء لعلمت أن سبب عجبهم وكبرهم إنما هو شعورهم بالنقص في أنفسهم . فهم بحاجة إلى شيء يكملون به هذا النقص ، فيتماظمون وينقبضون عن الناس في صدور الأعداء والحقيقة أنهم يخافون افتضاح أمرهم — ومعرفة الناس بنقصهم ، فيتخذون الكبرياء حاجزاً بينهم وبين الناس حتى يخفي هذا الضعف الذي به يشعرون وله ومن أجله يستكبرون .

وهناك فرق بين الكبر وبين الانقباض عن الناس واعتزالهم . فان الانسان إذا اعتزل الناس لتقاء لشرمهم — وهربا من الغيبة والنميمة التي أصبحت محور مجالسهم وأغلب حديثهم — وقابلهم بالانقباض حشمة وهو لا يضر في قلبه احتقاراً لهم ولا اعتواً عليهم — بل يرى أنه أقل الناس عملاً ، إذا اعتزل الناس هذه الأشياء وما شاكلها فلا يمد متكبراً ولا يناله إثم المتكبرين . بل ربما كانت العزلة في بعض الأحوال واجبة إذا تحقق المرء أن الاختلاط بالناس موجب لارتكاب الخطايا ولم يكن له قدرة على إرشادهم ، وردّهم عن غيرهم وضلالهم .  
ألا وإن إعجاب المرء واستشعاره الكبر لا يمدو أن يكون بأسباب خارجة عن ذاته وشخصيته كالمال ، والجاه ، والأصدقاء وسعة الثروة ، ورخاء العيش أو أن يكون لصفة في نفسه كالعلم والعمل والذكاء والفطنة والفضاحة والبلاغة والنبوغ في العلوم والمعارف على اختلاف أنواعها . ومجمل هذين السببين

لا يستوجب كبراً ولا عظمة لأن ما كان منفصلاً عن الانسان فهو معرض للزوال  
وما كان ممرضاً للزوال فلا خسر له إلا عند ضعفاء العقول وسفهاء الأحلام .

وأما ما كان متصلاً بالانسان من علم ومعرفة وذكاء وما الى ذلك فلا قيمة  
لصاحبه الا اذا كان يعلم قبل كل شيء أن ما أحاط به من العلوم - وما منحه  
من الذكاء - وما حلى به من العلوم والمعارف - كل ذلك نعمة من نعم الله عليه  
لا فضل له فيه . فكيف يكون سبباً في كبريائه ؟ !! فاذا تكبر والحالة هذه  
كان كبره دليلاً قاطعاً على جهاله وعدم تقديره نعمة الله عليه ؛ ومن كان  
كذلك فلا وزن لعلمه ، ولا قيمة لفضله وعقله ؛ فلا يجتمع عقل صحيح ، وعلم  
نافع مع كبرياء واستعلاء .

والعلاج الناجع للكبر والمتكبرين أن ينظر ذلك المتكبر الى نشأته ومبديه  
فيرى أنه كوف من ماء مهين تشمز منه النفس وتعافه - وينتهي بعد طول  
الأجل الى خيفة قبذرة تعافها النفوس ، وتتقزز منها ، ثم أنه لا ينسى وهو في  
ثياب عظمته الفاخرة ، يحمل في بطنه العذرة ؛ فأى سبيل للكبر لمن كان  
كذلك !!

إذا تناسى ذلك إنسان وتكبر وتعاضم فليذهب الى المقابر حيث العظام  
الذخيرة ، وحيث المستقر والمستودع فيرى العظام والفقراء والأقوياء والضعفاء  
يراهم وقد اختلطت عظامهم وجاجهم - وتساوى عزيزهم بذليلهم ، وملوكمهم  
بصعاليهم . فيردد قول القائل .

وحتك لو كشفت التراب عنهم لما عرف الغني من الفقير

ولا من كان يلبس ثوب قطن ولا البديت المنعم بالحزير

هذا فان لم تتأثر نفسه بتلك المشاهد ولجت في عشوها فليعلم أنه قد كتب

عليه الشفاء ، وأنه لا علاج له ولا دواء ، وأنه قد أضله هو اه . ومن أضله هو اه  
فمن الرشد أعماه : لأنه اتخذ إلهه هو اه فأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه  
وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله !! ومن يضلل الله فما له من هاد  
نسأل الله تعالى أن يحلينا بخلق التواضع المحمود ، حتى تنال عنده  
غاية المقصود .

## ( ٢٣ ) الرشوة وأخطارها وآثارها

مهمة الحكومات في الأمم تنفيذ العدل والشرائع السماوية والوضعية بين  
الناس . قبول الموظف الرشوة يفسد نظام الحكم فيما عهد اليه فيه . الراسي  
والمرتشي مجرمان أثمان . وبيان ذلك . انتشار الرشوة في الأمم يسبب فساد  
الأخلاق وإضاعة الكرامة وهدم أركان العدل وبث العداوة والبغضاء بين أفراد  
المجتمع . عقاب الرشوة في الدنيا . عقاب الرشوة في الآخرة . المرتشي خسيس  
النفس وضيع القدر وبيان ذلك . الرشوة فساد لميزان العدل الذي قامت عليه  
السموات والأرض وقام عليه عمران الكون والمجتمع . موازنة بين حال السلف  
الصالح وحال الناس الآن في تحرى العدل في كل الأمور .

انتشار الرشوة بين الطبقات من الأمة ضرر على المجتمع الانساني  
الرشوة سبب بلاء الشرق كله .

قال الله تعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى  
الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » .

... أرشد الله الأمام الى نظام يسكنل لها حياتها ، ويضعن لها الأمن  
والنظامينة حتى لا يعتدى قوي على ضعيف ، وحتى لا تسود الفوضى ؛ وذلك  
بأن أرشدهم الى إقامة حكومة منهم تنفذ العدل والشرائع السماوية والوضعية :  
« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض . ولكن الله ذو فضل  
على العالمين »

والأصل فى الحكومات أن يقوم رجالها على إقامة العدل بين الرعايا ؛  
فالذى يقبل الرشوة من الموظفين العاملين على خدمة الجمهور يكون قد أخل  
بأوامر الله . وأفسد نظام الحكم فيما عهد اليه فيه .

الراشى والمرشى مجرمان أثبات . يدفع الأول أجراً على فساد العدل  
ويأخذ الثانى أجراً على الاخلال بالأمانة التى عهد اليه القيام عليها ؛ والمال الذى  
يأخذه المرشى سحت ونار يعاقب عليه عقاباً أليماً ؛ لأنه يهدم شريعة قام عليها  
ركن العدل بين الناس .

مثلاً : وظيفة خلت فى أعمال الحكومة وتقدم اليها الطالبون الذين  
يرون فى أنفسهم الكفاية ؛ فاذا ساعد رئيس من رؤساء العمل الحكومى  
أحد المتقدمين لقرابته أو لمال أخذه منه ، أو لقضاء مصلحة تعود عليه فهو  
آثم . يحاسب على إثمه فى الدنيا وفى الآخرة .

كذلك إذا قبل موظف الإهمال فى عمل مقابل هدية أو مال فهو آثم  
لأنه باهماله أضر بمصلحة عمله .

وعلى هذا القياس كل من يقبل مالاً لقاء تفريط فى عمل واجب عليه عمله  
أو لقاء نعم أحد لا يستحق النفع خفية فذلك كله من باب الرشوة .

ومتى انتشرت الرشوة في قوم أفسدت أخلاقهم ، وأضاعت كرامتهم .  
وهدمت أركان العدل بينهم : وبثت العداوة والبغضاء في أنفسهم : فكلم جرام  
ارتكبت ، وقتلى ضاع دمها - وما كان لذلك من سبب الا الرشوة .

أما اذا عمت الأمانة الناس وعرفوا أن الرشوة يعاقب عليها في الدنيا  
بالسجن والرفق وما الى ذلك . فضلاً عن الآخرة ودخول النار  
والفضيحة . إذا عرفوا ذلك ارتدعوا وحرصوا على حفظ كرامتهم وعلى دينهم  
وسلامة دنياهم .

المرثى خسيس النفس . وضيق القدر . لأنه يأخذ أجراً خفياً مكانه  
سرقة مما ائتمن عليه : والراشى طامع فيما لا يستحق - يريد أن ينال بالمؤامرة  
التي عقدها مع المرثى ما ليس له بحق .

وباب الرشوة كثيراً ما يسلب الناس أموالهم - ويفسد ضمائرهم : وهي  
فضلاً عن ذلك تقدم من يستحق التأخير - وتؤخر من يستحق التقديم :  
فهي فساد لميزان العدل الذي قامت عليه السماوات والأرض . وقام عليه عمران  
الكون والمجتمع .

كان المسامون في الصدر الأول يتحرون العدل في كل أمورهم : أما نحن  
فاذا رأينا من يتحري العدل بيننا عدونا غريباً - لأن الفتمائل ذهبت أدراج  
الرياح - وحلت محلها الرذيلة في أشنع مظاهرها .

وأقوى دليل على هذا أن أمم الشرق كانت ولا تزال في تأخر ولا سيما  
من كان منها متصلاً بأمم الغرب .

وما سبب تأخرها إلا الرشوة يأخذها عظامها من الغاصبين لبلادهم  
ويقدمون لهم أوطانهم لقمة سائغة متى أخذوا مالا جماً اقتنوا به الضياع الواسعة

والجاء المريض : (إلا من عصم الله) فقد أصبح الشرق وفيه رجال أظهار خدموا بلادهم طاعة لله وحباً للوطن - فنالوا من الناس عالم الثناء ومن الله خير الجزاء انتشرت الرشوة حتى في الأعمال الصغيرة . فهذا تاجر يهبط القرى لشراء محصول قطن أو أرز أو غير ذلك من المحاصيل الزراعية ، ويهرع إليه شياطين هذه القرى . ويأتمرون بالأهالي . ويبيعون محصول أهل قريتهم بأقل مما يجب أن يباع به - وذلك لقاء مبلغ يتقاضونه من التاجر .

وهذا (سمسار) يخفي على الناس أثمان سلعتهم ليشتريها دون ما تستحق وبأخذ هو الفرق بين الثمنين (الصحيح والباطل) زيادة على أجره الذي يأخذه عادة وهذا يدعى (إلى شهادة حق) فإما أن يتصل به الظالم فيبذل الخلق باطلا ، أو يكتم الشهادة فيضيع حق المظلوم لقاء فائدة أو لمجاملة الظالمين ، أو غير ذلك من الأسباب المعروفة ، التي أصبحت بين الناس مألوفاً . وهذا (بخالف أوامر الحكومة) أو يترك الناس يخالفونها ، لقاء رشوة يأخذها .

وهذا (يكتم الجرائم الشائنة) كالسرقات ، وهتك الأعراض ، فلا يبلغها لذوي الشأن متى أخذ رشوة من السارقين والمرتكبين . فتنشر السرقات . لأن الاتصوس عرفوا كيف يحولون بين جرائمهم وبين رجال العدالة . وكم من قتل عرف قاتله وذهب دمه هدرأ . وكم من زرع اتلفت وعرف تالفوها وذهبت ضحية الرشوة . وكم حق انخفض . وكم باطل ارتفع . وكان الخافض والرافع هو الرشوة . وكم ..... وكم ..... مما لا يأتي عليه العمد . ولا يحيط به الحصر .

فبلاء الشرق كله الرشوة . هي المعول الهدام للأخلاق وللأمن وللفضائل

والدين . هي شر مستطير ، وبلاء كبير ، فلعنة الله على الراشيين والمرتشين .  
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لعن رسول الله ﷺ الراشيين والمرتشين  
في الحكم .

( رواه الترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه والحاكم ، وزاد  
« والرائش » يعنى الذي يسعى بينهما ) .

وروى الطبراني عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله  
ﷺ الراشيين والمرتشين في النار .

أبعدنا الله تعالى عما يوجب سخطه ، وقرّبنا مما يستوجب رضاه ، إنه  
أهل التقوى وأهل المغفرة .

## ٢٤ الغش في البيع والشراء

مناقضة الغش في البيع والشراء للمروءة والدين . الاسلام رابطة إخاء .  
حكم الغش شرعا ودليله . كتمان عيب البيع أقبح ضروب الغش . الربح الحلال  
والحرام ومغبة كل . استشهادات دينية في معنى ذلك وحكاية حال . المصراة  
وحكها وجشع البائعين . ما ارتكبه جماعة التجار في ظروف الحرب من الاحتكار  
ورفع الأثمان وإخفاء السلع . الحكومة ومناهضتها للسوق السوداء . تقريع  
وبيان لخروج الغاش من عداد المساعين .

قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم يديكم بالباطل إلا أن تكون  
تجارة عن تراض منكم .

... الغش في البيع والشراء من أقبح الصفات وأبعدها عن المروءة والدين

لأن الله تعالى جعل دين الإسلام رابطة إخاء وإخلاص فلا يحل لمن يتجر في  
شراء أن يخدع الناس فيه ويغشهم . فقد روى مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة  
رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام (١) فأدخل يده فيها  
فمالت أصابعه بلالا . فقال : ما هذا يا صاحب الطعام : قال : أصابته السماء . (٢)  
يارسول الله . قال : أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس . من غشنا فليس منا .  
ويثبت على البائع أنه شئ في البيع إذا كنتم فيه عيباً يعرفه ولم يذبه عليه  
المشتري حتى يكون على يئنة منه : ومن ظن أنه بيان ما في البيع من عيب  
ينبيع على نفسه ربحاً محققاً فهو مخلىء . بل إنه إن نصيح للمسلمين بارك الله له  
في ربحه وإن كان قليلاً .

وعلى عكس ذلك إذا كنتم العيب فيما يبيعه كان كتمانه سبباً في خسراته .  
وجدير بأن لا يبارك الله له فيما أخذه من مال . بل إن ذلك ليسكون سبباً في  
أن يلبه الله أضعاف أضعاف ما أخذه . لأنه غرر بالمسلمين . وخالف سنة  
سيد المرسلين .

ويدل على وجوب الذبح باظهار العيوب ما روى أن النبي ﷺ لما بايع  
جريراً على الإسلام ذهب لينصرف فحذب ثوبه واشترط عليه الذبح لسكل  
مسلم . فكان جرير إذا قام الى السلعة يبيعهها لأحد بصره عيوبها ثم خيره  
وقال : إن شئت فخذ وإن شئت فترك . فقيل له : إنك إن فعلت مثل هذا لم  
ينفذ لك بيع . فقال : إنا بايعنا رسول الله على الذبح لسكل مسلم .

وروى البيهقي والحاكم . عن أبي سباع : قال : اشتريت ناقة من دار

وائلة بن الأسقع . فلما خرجت بها أدركني يجر إزاره فقال : اشتريت ؟ قلت :  
نعم . قال : أبيع لك ما فيها . قلت وما فيها ؟ قال : إنها لسمينة ظاهرة الصبغة .  
قال : أردت بها سفراً أو أردت بها لحمًا ؟ قلت : أردت بها الحج . قال :  
فارتجعها . فقال صاحبها ما أردت إلى هذا أصلحك الله تفسد على ؟ ! قال :  
إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يحل لأحد يبيع شيئاً إلا يبين ما فيه .  
ولا يحل لمن علم ذلك أن لا يبيته (١) » .

وعن صفوان بن سليم أن أبا هريرة رضي الله عنه مر بناحية الحرّة (٢)  
فاذا إنسان يحمل لبناً يبيعه . فنظر إليه أبو هريرة فاذا هو قد خلطه بالماء .  
فقال أبو هريرة : كيف بك إذا قيل لك يوم القيامة خلص الماء من اللبن ؟ !  
ومما يروى من نوادر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أثناء تفقده لرعيته  
إيلاً أنه سمع امرأة تقول لابنتها : قومي امذقي اللبن بالماء (٣) فقالت البنّت  
ألم تسمعي يا أمي ما كان من نداء عمر بتحريم مذق اللبن بالماء ؟ فقالت الأم :  
إنك بمكان لا يراك فيه عمر ولا منادي عمر . فقالت البنّت : أنا لا أطيعه في  
الملا وأعصيه في الخفاء . فأعجب عمر بمجوابها . وابتهج بنفسها العالمة وإسلامها  
المتين . فزوجها لأحد أولاده فكان من نسلها سيدنا عمر بن عبد العزيز  
الخليفة العادل المشهور .

ومن الغش وعدم النصيحة أن يترك التاجر حلب ماشيته حتى يجتمع اللبن  
في ضرعها ليؤم الناس أنها كبيرة الضرع غزيرة اللبن . فيفتروا بها ويشتروها

(١) لعل في ذلك عبرة لاعوان السود الذين ينادون على إخفاء العيب ولواسة صحتهم لا يبالون  
(٢) بفتح الحاء وتشديد الراء . أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود : يومها مشهور في الاسلام  
(٣) اخطأ به .

بأكثر مما تستحق . وهذا وما شابهه خداع وتقرير وتمويه وإخفاء للحقيقة ؛  
والدين الاسلامي الخفيف ينهى عن الغش والخداع — ويأمر بالصنديق  
والصراحة والذصيحة .

هذا . وليس للتاجر أن يذهب غفلة الجمهور وقلة خبرتهم بالبضائع وأسعارها  
فيرفع ثمنها طامعاً في الربح الكثير منها أو يخفيها ولا يظهر منها إلا القليل ليقبحم  
في الثمن كما يشاء فيرغم الناس بدوافع الضرورة على النزول على حكمه . وهذه هي  
مضار ( السوق السوداء ) التي عنيت الحكومة بمناعتها فسنت لها القوانين  
الرادعة . فقد رفع التجار ثمن الحاجيات مع وفرتها في القطر المصري بدون  
مسوغ ولا مبرر لهم في ذلك غير الطمع والجشع .

ولقد أحسنت حكومتنا المصرية الرشيدة صنماً حيث سنت القوانين  
الصارمة لردع هؤلاء الذين يطمعون في أموال عباد الله ، ولا يخافون من الله ،  
ولا يبالون بسخط الناس .

وكان الواجب على هؤلاء التجار في مثل هذه الظروف « رحمة بالناس »  
أن يسكتفوا بالربح النليل ، وأن يخففوا على إخوانهم ومواطنيهم ما يلاقونه من  
ويلات الأزمة المالية الشديدة التي خلت بهم ، وأن يصدقوا في السعر ولا يبالغوا  
في تقدير الثمن حتى لا يكونوا خائنين

ولله در من قال : من باع أخاه شيئاً بدرهم وهو لا يرضى به لو اشتراه  
لنفسه إلا بنصفه فقد ترك الذبح المأمور به في المعاملة . ولم يحب لأخيه  
ما يحب لنفسه .

فكيف يعلم المؤمن أن الغش للناس بسكافة أنواعه وضروبه يخرج منه من

حظيرة الدين — ويدخله في سمخط رب العالمين — ويقدم عليه وهو مسوق  
بشهوة الدنيا والطمع في حطامها !! ?

نسأل الله تعالى أن يجعل نعمنا بالقناعة — وأن يبعدنا عن مزالح  
الهلكة — وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه — إنه  
رؤوف بالعباد .

## ( ٢٥ ) الظلم وآثاره ونتائجه

تعريف الظلم . العلة المانعة من الظلم أنواع يختلف بعضها عن بعض . الظلم  
من مستلزمات النفس لا يعانى . لطلبه إلا الدماء والسلب . التاريخ أصدق مخبر على  
أن الظلم مبيد الممالك ومذل الشعوب . الظلم أنواع شتى وصوره متعددة .  
المشاكل الدولية والخلافات العائلية كلها على اختلاف أنواعها — أثر من آثار  
الظلم . لا يفلت الظالم من جزاء ظلمه دنيا وأخرى . عاقبة الظلم خراب العمران  
وخراب البيوت . الظلم سبب في هلاك مرتكبيه . ودليل ذلك من الكتاب .

قال الله تعالى : « إننا أعتدنا للظالمين نارا أخط بهم سرادقها . وإن  
يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه . بئس الشراب وساءت مرتقفا » .  
... . الظلم مجاوزة الحد والخروج عن طريق الحكمة : وهو صفة  
غريزية من صفات النفس البشرية . كمين كمنون النار في الحجر . تظهره القوة  
ويخفيه الضعف . ويترتب عليه آثار يعقها الله تعالى . ولهذا أعد للظالمين  
عذابا أليما .

والظلم من شيم النفوس فان تجرد \* . اذا غيبة فلعمالة لا يظلم  
والعمالة الملائمة من الظلم إما أن تكون خوفاً من الله تعالى . أو خوفاً من  
الناس — أو حباً في مظاهر العدل . أو عجزاً .

فكم من نفوس تتوق الى الظلم فتدفعها التقوى . قلت عائشة رضي الله  
عنها وقد أغيظت : لله در التقوى فانها ما تركت لذي غل شفاء .

وكم من نفوس طاغية لولا رهبتها من القانون وعقابه — أو من الانتقام  
ممن اعتدت عليه ولو غيلة ما كفت عن الظلم .

وكم من نفوس لا يحول بينها وبين الظلم إلا رغبة ملحة في ظهورها بين  
الناس بمظهر العدل .

وكم من نفوس لا يحول بينها وبين ارتكاب الظلم إلا عجزها وضعفها .  
وهذه العمالة هي الغالبة على الناس ولولاها لما وقف الظلم عند حد .

والمدفوع بهذه العمالة يتحين فرصة القوة ليرتكب ظلمه يشفي به ذليلاً  
ويروى به ظمناً .

والظلم من مستلزمات النفس . لأن الانسان إذا استشعر من نفسه قوة  
ولم يكن لها رادع يردعها « من عقل زجر أو دين قاهر — أو سلطان  
قادر » جمحت في غلوائها — وتغالت في طغيانها — فلا يهدأ ثأمرها إلا إذا ولقت  
في الدماء — وتعدت على الأتقن والأموال — وتلذذت بسلب الغير — واستولت  
على مائيس لها بحق .

ولهذا كانت صفة الظلم من الصفات التي تفضي بصاحبها الى الكفر بالله  
تعالى من حيث لا يشعر : لأن البطش والبأس يعمي بصيرته عن الهدى — فيرى

أن كل ما يستطيعه حل له : وبذلك يفسد نظام العالم القائم على سنن العدل والانصاف — وتسود بسببه الفوضى بين الناس — فيأكل قويهم ضعيفهم — ويستعبد طالحهم صالحهم — فيستوجب الظالم بذلك خسرى الله وعذابه : ولا يلبث الطاغون أن يصيبهم الله تعالى بعذاب من عنده ، أو على أيدي غيرهم من العباد — فيصيحوا أذلاء بعد عزهم — فقراء بعد غناهم .

فهذا ومن سنة الله سبحانه ، وتعالى في الأرض أن الملك يدوم على الكفر مع العدل ولا يدوم على الاسلام مع الظلم .

والتاريخ أكبر شاهد . وأصدق مخبر . لأنه لا يحابي ولا يداجي . فانك إذا سألته عن المدنية الاسلامية وكيف نشأت . وكيف بادت ، بل اذا سألته عن المدنيات القائمة في الأرض ، والتي قامت من قبل ، وفقدت عن الأسباب التي دالت بها هذه الدول وبادت بها تلك المدنيات — إذا سألته عن ذلك كان جوابه جواباً واحداً . هو أن هذه المدنيات خلت من روح العدل — وانتشر فيها وباء الظلم . فكان حقاً على الله أن يحورها من الوجود ويبدل بها خيراً منها .

وفي مدينة العرب بالأندلس « غرباً » ومدنيتهم ببغداد « شرقاً » وكيف بادت وأصبحت طعمة للطامعين ، ولقمة لسائفة للمستعمرين والمغربين ، ما يفسر لك العلة في انهيارها وزوالها . تلك سنة الله التي قد خلت من قبل . ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

والظلم أنواع شتى : ويعظم خطره باعتبار أثره فمن حمل نفسه على المنكاره وزج بها في غمار المهلكات ولم يراع لها حقاً فهو ظالم لنفسه ولو كان ذلك في الطاعات

فقد قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص لما بلغه أنه يصوم النهار ويقوم الليل - لا تفعل : فان لجسدك عليك حظاً . وامنيتك عليك حظاً . وان لزوجك عليك حظاً . صم وأفطر .

ومن شغلته الدنيا عن الآخرة وترامي في أحضانها . واستمرأ مرعاها فهو ظالم لنفسه .

ومن تعدى حدود الله تعالى أو قصر في أداء ما أوجبه الله فهو ظالم لنفسه . والرجل الذي يقسو على أولاده ، أو يهمل أمر تربيتهم حتى ينشأوا عاطلين عن الكسب فهو ظالم لهم .

والرجل الذي يسيء معاشرة زوجته حتى تدب يديهما عقارب العداوة والشحناء فتجعل من حياتهما جحيماً لا يطاق - وتفكك روابط الأسرة - ويترث الرجل من وراء ذلك كراهية الأبناء . فهو ظالم لنفسه وأهله وولده : الى غير ذلك من مجاوزة الحد فيما ينبغي أن يقف فيه الانسان موقف العدل .

وأكبر أنواع الظلم على الاطلاق هو الشرك أو الالحاد : إذ أنت من أشرك أو ألد فقد أهلك نفسه هلاكاً أبدياً : قال تعالى : « إن الشرك لظلم عظيم » وقال جل شأنه « إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار وما للظالمين من أنصار » .

ألا وإن المشا كل القائمة بين شعوب البشرية اليوم والخلافات العائلية على اختلاف أنواعها : والنار المتأججة في نواحي الأرض . والملايين من الأرواح التي تأكلها نيران الحروب الطاخنة أكلاً وتحضدها المدافع خصداً ، وتطردها الطائرات وابلاً من الموت الزؤام . كل أولئك أثر من آثار الظلم : ومبببه

الانحراف عن جادة الحق والعدل : وما العدل بين الشعوب إلا المساواة في  
المعاملات والتجارات .

على أنك إذا نظرت إلى أهل هذا البلاد الواحد وأحببت أن تعرف على  
أسباب محبة بعضهم لبعض - أو معاداة بعضهم لبعض - لوصلت إلى نتيجة  
واحدة . هي أن الأسر التي فيها شيء من التسامح ومراعاة العدل والانصاف :  
والبعد عن الظلم والاعتساف - هي التي تشهد بينهما الألفة والمودة  
والمحبة . وأن التي يغيب عنها الأثرة وحب الذات هي التي يذشأ بينها  
التباغض والتحاسد .

ولو أن الناس جانبوا الظلم واستشعروا العدل فيما يأتون وبذروا العاشرا  
في دعة وراحة وأمن واطمئنان .

وقد أعد الله للظالم « ما كان ظامه » عقاباً يتناسب مع الظلم الذي  
ارتكب . وفي الغالب ينفذ جزاء الظالمين في الدنيا - خزياً وذلة - ويذكر  
لهم شديد العقاب في الآخرة .

وأنت إذا فكرت في نهاية كل ظالم وما صارت إليه عاقبته . رأيت أنه وقد  
انتهت حالته بالذل والفقر - وتبدل عزه وجبروته بالمسكنة والفقر - سنة  
الله التي جرى عليها مع الظالمين - ولن تجد لسنة الله تحويلاً .

فمن شاء ألا يرى في نفسه ولا في خديته من إيمده مكروهاً - وألا يرى  
ما جمعه من الدنيا نهياً متسماً فليبتعد عن الظلم - لأن الظلم ظلمات يوم القيامة  
والظلم مرتعه وخيم ، ووصفه مذموم ، كم خرب بيوتاً عامرة وقصم ظهور الجبابرة  
قال تعالى في وصف جزاء الظالمين بما عملوا : « فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا » .

ومن غريب الأمر في مسألة الظلم أنك لا تلبي ظالماً متغظراً قد مدّ له في حال ظلمه إلى النهاية . بل لا بد من أن يسلم الله عليه من هو أظلم منه وأشدّ عتواً يذيقه من الذل والهوان أشدّ مما أنزله بغيره وأذاقه لسواه .

وقد تداولت الحكمة الآتية على ألسن الحكماء والأدباء فقالوا :

وما من يد إلا يد الله فوقها \* وما ظالم إلا سيلى بأظلم  
وقصارى القول أن الله تعالى جعل الظلم سبباً في هلاك الظالمين وعد  
هلاكهم نعمة تستحق حمده ، وتستوجب شكره ، فقال : « فقطع دابر القوم  
الذين ظلموا . والحمد لله رب العالمين » .

وقانا الله تعالى بحمايته من عسف الظالمين ، وكيد الماكرين .

## ( ٢٦ ) التسول

تعريف العفة . العفة وسيلة للغنى . التسول مذلة وضعة ، وخسة ودناءة .  
التسول مع القدرة على العمل جريمة . المتسولون والحكومات . استشهادات  
دينية . العمل لكسب الرزق فضيلة . عمر بن الخطاب والسائل . خير  
ما ينفق فيه المال .

... قال الله تعالى : « وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم . وما تنفقون إلا  
ابتغاء وجه الله . وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون . للفقراء الذين  
أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من  
التعفف . تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً . وما تنفقوا من خير فإن  
الله به عليم .

... العفة فضيلة من أجل الفضائل . وهي عدم التطلع لما في أيدي الناس والقناعة بما ساقه الله الى العبد من رزق : فمن استغنى عن الخلق أغناه الله . ومن فتح على نفسه باباً من المسألة فتح الله عليه أبواباً من الفاقة والاحتياج : فمن أراد أن يوسع الله عليه في رزقه وييسر له أمره فعليه أن يستشعر القناعة والتعفف عما في أيدي العباد . فقد ورد : « المسألة آخر كسب الرجل » .

والتسول مذلة وضعة ، وخسة ودناءة . فمن رضيت بذلك نفسه وتطلع الى ما في أيدي الناس وسألهم فقد سقطت منزلته بينهم ، وهان عليه أمره ، وصار غرضاً لسهام الناقدين ، ولوم اللامعين .

وما دام الانسان يستطيع أن يكتسب الكفاف من الرزق بعرق جبينه فحرام عليه شرعاً أن يجنح الى الكسل ويمد يد الاستعانة والمسألة الى الخلق : ومن أعانه على ذلك وحبب اليه الكسل والتقاعد أثم وارتكب أمراً جسيماً .

ويجب على الحكومات أن يتربصوا لمن يتخذون التسول والاستجداء حرفة لهم . فمن وجدته قادراً على العمل استخدمته في الأعمال النافعة . ومن كان عاجزاً عن العمل آوته في الملاجئ الخيرية التي تلتئمها أو ينشئها أهل الخير من الأمة لهؤلاء العجزة والضعفاء حتى لا يكونوا قذى في أعينها ، ووصمة عار عليها ولا تكون بذلك إلا منفذة إرادة الدين الحنيف وحكمته : أما إذا تركهم يتسولون وهم أقوياء ، وأهملت في ذلك الواجب الاجتماعي فقد أعانت على شلل عضو من جسم الأمة . وقد سنت الحكومة المصرية تشريعاً للتسول فظهرت المجتمع من هذا الصنف من الناس الذين كانوا وصمة عار على البلاد . وعبئاً ثقيلاً على كواهل العاملين من أبناءها . واكتفيننا بفضل هذا التشريع معرفة الأجانب

واستراح الناس من مضايقة هؤلاء المتسولين ، الذين كانوا يرابطون على أبواب الأديان وأبواب المساجد فضلاً عن الطرقات العامة . وحوالى مركبات الترام والمحطات . وطالما ضجج الناس بالشكوى من وقاحة هؤلاء السفهاء الذين قد يبلغ بهم الإلحاف في الطلب الى أن يتمسكوا بثياب الناس يرغمونهم على البذل والعطاء ولعمري الحق . إنها كانت مناظر مزرية مخزنة ، مخجلة مخزية ؛ لاسيما إذا انظر إليها الغرباء من الأجانب ، ونقلوها الى بلادهم يستخدمونها للحط من كرامة الأمة التي هي براء من هؤلاء ؛ وقد امتلأت السجون والملاجئ بآدىء الأمر بهؤلاء المتسولين وأخذ عددهم في النقص حتى زال شيخهم وتواروا عن أعين الناس . وحمد الشعب للحكومة غيرتها على كرامة البلاد — وتفيدها لأغراض الشريعة الغراء .

كذلك حمد الناس لها جمع الأطفال المشردين ، الذين كانوا ينتشرون في شوارع المدن والقرى يسرقون ويلتقطون أعتاب السجائر وجمع الأوراق المتناثرة والخرق البالية والعظام وما الى ذلك ؛ فاذا جن الليل ناموا على (إفريز الشارع) أكواماً بشرية بعضهم فوق بعض ؛ فسكان منظرها «ولا سيما في فصل الشتاء» مؤلماً ومخزناً حقاً — ومزرياً ومخزياً حقاً ؛ إذ أن هؤلاء تناسلوا ولا شك من جماعة من الناس لا يعرفون للأبوة ولا للبنوة معنى ؛ فهم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ؛ وكيف لا يكونون كذلك وقد تركوا أفلاداً كبادهم يهيمون في الطرقات ، ويتسكعون في الشوارع من غير مأوى ولا مستقر ؛ فاذا كبروا فالذكور منهم لصوص ، والفتيات بغايا . وهذا أمر مغبته على الأمن العام خطيرة . وعلى الأخلاق والآداب مهلكة مبيدة .

وكان جمع هؤلاء المتشردين عملاً جليلاً . يتعاونون في مدارس الأحداث التي أنشأتها الحكومة خصيصاً بهم . يتعاونون المهن النافعة لهم في مستقبلهم ، كما تتعلم الفتيات التمريض وتدير المنزل وما يؤهلهن لمستقبل الحياة الى عيش شريف ، و حياة حرة كريمة .

فقانون التشرد والتسول وتنفيذه بالحكمة أسدى الى البلاد نفماً عظيماً في حالها ومستقبلها .

روى البخاري ومسلم عن الزبير بن العوام رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال . « لأن يأخذ أحدكم حبله فيأني بحزمة حطب فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » .

فهذا الحديث الشريف يحث الناس على اكتساب الرزق ولو من الأعمال الصغيرة التي لاخطر لها . ويبغضهم في السؤال ويحفظ عليهم العزة والكرامة . ويمنعهم الذلة والمهانة .

وروى الامام أحمد وأبو دارد عن عبد الله بن عدي بن الخيار أن رجلين أخبراه أنهما أتيا النبي ﷺ يسألانه عن الصدقة فقلب فيهما البصر وراهما جالدين « قوين » فقال إن شئما أعطيتكما . ولا حظ فيهما لغني — ولا لقوي مكتسب » .

وروى أحمد وابن حبان عن سهل بن الحنظلية عن رسول الله ﷺ قال : « من سأل وعنده ما يغنيه فأعنا يستكثر من حزن جهنم . قالوا : يا رسول الله وما يغنيه ؟ قال ما يغديه أو يعشيه » ( وعن أبي داود يغديه ويعشيه )

وروى أحمد ومسلم وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ

أنه قال : « من سأل الناس أموالهم تكثر فأنا يسأل جراً . فليستقل منه أو ليستكثر » .

وكان رسول الله ﷺ جالساً مع أصحابه ذات يوم فنظر الى شاب ذي جاد وقوة وقد بكر يسمي . فقالوا ويح هذا . لو كان شبابه وجده في سبيل الله تعالى !! فقال ﷺ : لا تقولوا هذا . فانه إن كان خرج يسمي على ولده صغاراً فهو في سبيل الله . وإن كان خرج يسمي على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله . وإن كان خرج يسمي على نفسه يعنها فهو في سبيل الله . وإن كان خرج يسمي رياه ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان » .

وعلى هذا فمن سأل غيره وعنده غنى فقد أكل ناراً . وأراق ماء وجهه الذي أوجب عليه الله حفظه .

وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه سائلاً يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه عش الرجل . فعمشاه . ثم سمعه ثانياً يسأل فقال : ألم أقل لك عش الرجل ؟ !! قال : قد عشيتيه . فنظر عمر فاذا تحت يده مخللة مملوءة خبزاً فقال : لست سائلاً واكنك تاجر . ثم أخذ المخللة وثرها بين يدي إبل الصدقة . وضربه بالدرة وقال : لاتعد .

هذا : وخير ما ينفق فيه المال أن يتعهد الانسان به رجلاً مسكيناً يمنعه الحياء من سؤال الناس . وبظهر لهم الغنى وهو فقير معدم — ولو سكته يتعفف عما في أيديهم محتفظاً بكرامته وماء وجهه : فالأسر التي افتقرت بعد غنى — وانحطت بعد رفعة — وعندها من عزة النفس ما يحول بينها وبين السؤال أولى بأن يبذل لها الاحسان سرأ : ودليل ذلك ما رواه الشيخان أن رسول الله ﷺ

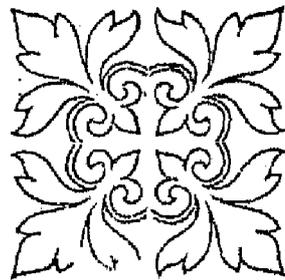
قال : ليس المسكين الذي ترده اللقمة أو التمرتان ، والتمرّة والتمرّتان ، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يقطع له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس .

والسبيل الى غنى النفس — الرضا بما قدر الله وأعطى — وأن يكون المرء بما في يد الله أوثق منه بما في يديه . وبذلك يحيا حميداً . ويموت سعيداً . فمن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنيه الله . والله هو الغنى الحميد .

فليعلم المسلم أن العزة في القناعة ، والذلة في الضراعة ، وأن من استغنى عن الناس أغناه الله عنهم ، ومن سأل الناس ، وكله الله الى الناس .

فمن أغناه الله فلم ينفق من ماله على المستحقين ، ومن ضاق عليه رزقه فليستعفف فان الله واسع عليم .

جملنا الله بالقناعة . ووقانا شر الضراعة — إنه خير مسئول .  
وأكرم مأمول .



## (٢٧) قطع الحدود واغتصاب ملك الغير

الطمع وآثاره ونتائجه . أخس أنواع الطمع قطع الحدود . قطع الحدود يجر الى التقاضى ويشتهر صاحبه بالضلال بين الناس ودليل ذلك . محال أن يكسب قاطع الحدود نفسه وأولاده الغنى بما يغتصب . عظة وإرشاد وتخويف من دعوة الضميف . الطمع فى « المنافع العامة » وجزاء مرتكبه . قطع الطرق العامة وإدخالها فى الأراضى الزراعية وضرر ذلك على مرتكبيه وعلى الناس . عدم إيمان الناس بسبب المشاكل والعداوات ويكلف الحكومة الأموال الطائلة .

قال الله تعالى : « وذكر فإن الذكري تنفع المؤمنين » .

... لما كان هذا الأوان موسماً للزراع ، حيث يكثُر بين إخواننا « الفلاحين » من قطع الحدود الخلاف والزراع ، أردت أن أذكر بهذه النصائح من كان من الغافلين . عملاً بقوله تعالى « وذكر فإن الذكري تنفع المؤمنين » .

... اعلموا معشر المساميين أن الطمع ذاء ويبل ، يجر صاحبه الى ارتكاب المحرمات والعذاب والتنكيل . فكم جراً قوياً على سلب حقوق الناس رجاء أن يكونوا من الأغنياء ، وجمعوا حطام الدنيا من الحرام فعاد ذلك عليهم بالبلاء والوباء ، فما لبثوا أن تركوا ما جمعوا ، وخلفوا ما سلبوا ، ولاقوا ربهم يحملون أوزارهم - ويتركون الحرام ينحرب ديارهم : يناقشون حساباً تقشمر

منه الجلود — ويزوب من هولاء الحجر الجامود . والله عزيز ذو انتقام .  
ومن شر أنواع الطمع — قطع الزارع الحد الذي بينه وبين جاره ، طمعاً  
فيما يأخذه منه مما لا يشفع ، ولا يغنيه . معرضاً بذلك الطمع نفسه لمذات الله  
ودخول النار ، والشهرة بين الناس بالفضلال ، مما يلبسه الخزي والفضيحة والعار .  
أو لم يعلم الطامع أن الله تعالى سيمعوض جاره فيما زرعه خيراً ونماءً ؟  
ويصيبه هو بسوء ما صنع شراً وبلاءً ؟ !! وكثيراً ما يفضي هذا التعدي إلى  
المناضاة بين يدي الحكام — بعد أن يشتد النزاع بين الجارين ويستخدم الخدام  
وما الله بغافل عما يعمل الظالمون .

فتنبه أيها الطامع واعلم أنك اليوم تبذل جهدك في جمع الدنيا من حلال  
وحرام . وغداً تترك لفيرك ما جمعت وتلاقي على عمالك العقاب والآلام .  
إن كنت تهتم بغنى أولادك من بعدك — فليس أحد منهم بشفييع لك  
عند ربك ، بل كل نفس بما كسبت رهينة — والنفس بما فعلته مدينة . والقدر  
الذي تطمع فيه لا ينفي من فاقة ولا يسد من افتقار — وإنما بأخذك إياه تعرض  
نفسك لغضب الله وعذاب النار : والحدود التي بينك وبين أخيك إنما هي من  
حدود الله . ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون .

واعلم أنك مهما حاولت أن تأخذ من جارك على طول الأيام — فاست  
آخذاً إلا قدراً يسيراً ربما لا يثبت فيه زرع على الدوام . وهذا عذاب لك في  
الدنيا وخزي في الآخرة وإغراء من الشيطان .

فاجتنب ذلك ولا سيما إذا كان جارك ضعيفاً يلجأ إلى الله بالشكوى —  
فدعوة المظلوم بحاجة تحيط بمن نزلت به البلوى . واقنع بما قسم الله لك تكن

غنياً . وتعنف عن الحرام تعش عيشاً مرضياً ، وبذلك ترحل عن الدنيا مستريح الضمير . واحذر حقوق الناس وخف من الله فإنه بما تحفى الصدور عليم خبير . هذا ولا تنس أن من أدخل في ملكه من « المنافع العامة » جزءاً قليلاً كان أو كثيراً فسيحاسبه الله على ذلك حساباً شديداً ويعذبه عذاباً نكراً : وكذلك من أخذ من شواطئ الأنهار أو الترع رمالاً أو رماداً وأدخله في أرضه كان متعدياً حدرد الله . وكان ذلك سبباً في سوء حاله وشر ما له وظهوره بين الناس بمظير الظامع الجشع الذى يؤثر نفسه على الناس ، بما جعله الله منفعة للناس .

وأفطع من هذا كله إغساً - وأشد جرماً . الذين يعمدون الى الطرق الواسعة التى يسير عليها الناس سواء أ كانت « زراعية » أو « خصوصية » فيقطعونها ويدخلونها فى أراضيهم . حتى تضيق الطريق بالسالكين : فأمثل هؤلاء جنوا على أنفسهم وعلى الناس .

أما جنائهم على أنفسهم - فقد ضموا الى أراضيهم جزءاً مقتصباً يسلب بركتها ، ويجعل حاصلاتها حراماً ، وعاقبتها ضيقاً وفقراً عاجلاً . وأما جنائهم على الناس فقد ضيقوا عليهم السبيل ، الأمر الذى كثيراً ما يترتب عليه ضرر . بل أضرار محققة .

ولو أن قلوب الناس خالطها إيمان صحيح وعرفوا أن الأرض لله هو الذى ينمىها ويبارك فيها - وأن الطمع لا يزيد فى الأرزاق شيئاً بل هو محقق البركة محققاً - لو علموا ذلك لقمعوا بما ملكته أيديهم حلالاً طيباً . وتركوا الطريق على اتساعها . وتركوا القنوات العامة مصنونة ، ولعمروا أنفسهم عن إدخال شيء لا يملكونه فى ملكهم خوفاً من الله وخوفاً من سطوته وخوفاً من عقابه .

وإذا لو فروا على الحكومة الأموال الطائلة التي أنفقها وتنفقها في صيانة حدود الأطنان الزراعية بين الناس وبعضهم ، وبينها وبين الناس .

ولكن خلو القلوب من الإيمان والاستهانة بعقاب الله تعالى جرأ الجهلاء من الناس على الاعتداء على المنافع العامة — وعلى الحدود . وكثرت بذلك المشاكل والعداوات وكثرت القضايا والمشكلات التي قد تجر إلى إراقة الدماء — وتوارث البغضاء . كما نشاهده في كل يوم وتفيض به أخبار الصحف ما بين حين وآخر . ولو وقف المسلمون عند دينهم لأراحوا أنفسهم . ونمت زراعتهم . ومنع الله عنهم تلك الجنود الفتاكة التي تحاربهم في أرزاقهم . وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

هدانا الله جميعاً إلى ما فيه الخير — ومنمنا عما فيه الضير . انه على كل شيء قدير .

## ( ٢٨ ) المزارع ومثلها

الأمراض والعمال نتيج فساد القلوب . نتص الثمرات وإتلاف المزروعات بالآفات سببها العصيان ودليل ذلك من السكتاب . ما أعده الله لمثل المزروعات من العقاب . إتلاف المزروعات جبن وخسة . وفاعله خارج من حظيرة الاسلام ودليل ذلك من السنة . تقريع وتأنيب . تعزية من أئلف زرعاً وعدته بمضاعفة الرزق من الله . طلب اختصاص العذاب بطائفة المنسدين . ومعافاة الصالحين .

قال الله تعالى : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد

الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها  
ويهلك الحرث والنسل . والله لا يحب الفساد . وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة  
بالآثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد .

... إن من دقق النظر في أعمال المسامين . وفكر فيما استئول إليه في  
المستقبل أخذته الدهشة واستولى على قلبه الحزن . فقد كثرت فساد الناس برأ  
وبجراً . وعصوا ربهم سرأ وجهرأ — لذلك ساءت أحوالهم « لضعف إيمانهم ،  
ونبذهم تعاليم دينهم » وسلمت الآفات على مزروعاتهم ، وانتشرت فيما بينهم  
الأمراض تنمك في أجسامهم : وكل هذا سخط من الله وغضب منه بسبب  
فساد قلوبهم . وتبيح أعمالهم . وهم لا يزدجرون ولا يعتبرون . فلا حول ولا  
قوة إلا بالله العلي العظيم : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وإذا  
أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له . وما لهم من دونه من وال » .

وما كفاهم ذلك البلاء النازل ، وذلك السخط الهائل ، حتى شرعوا بحارب  
بعضهم بعضاً في إتلاف المزروعات التي منها طعامهم وشرابهم . وما يدري الجاني  
كيف يكون جزاؤه عند الله وعقابه . إنه سيصلي عذاباً أليماً . ويسكن في  
الآخرة سعيراً وجحياً .

جريمة مقتلع المزروعات — وحارم أصحابها من الأقوات — جريمة قاتل  
النفس . لأنه يسعى في إتلاف ما به حياة أصحابها — أو ما فيه مصلحة تعود عليهم  
منها : وهو عمل لا يقدم عليه إلا من فاق إبليس في اللعنة وخبث الضمير .  
متلف المزروعات للناس جبان — لأنه ينتقم خفية لا في العيان . ضعيف  
عاجز لم يستطع أن يقابل الناس فيعاديهم وجهاً لوجه . وإنما عمد إلى حيلة  
الاصوص السفلة فخارب الناس في مزارعهم . وهو عمل يمكن للطفل الصغير

والمرأة الضعيفة أن تتمعه . فلا نفر له فيه — ولا قيمة له عند العتلاء .  
ميتلف المزروعات ليس بمسلم . لأن الناس لم تسلم من شره وطغيانه —  
والمسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه .

ثالله أى فائدة تعود على ذلك الذي يتجرأ فيتلف المزروعات فلا ينتفع بها  
صاحبها ، ولا ينتفع هو بها !! ولا يناله من وراء ذلك إلا إنزال السخط  
واللعنات عليه !! إن كان منتقماً فان الله عزيز ذو انتقام . وإن كان يدعى أنه  
مظلوم فما ربك بغافل عما يعمل الظالمون . وإن كان ظالماً فويل للظالمين ، من  
أحكم الحاكمين . فلم يبق إلا أنه خبيث النفس - نعيم السجينة . ومثل هذا  
لا يعد إنساناً - ولا يشاكل حيواناً .

أما أنت يا من أتلفت مزروعاتك — فلا تظن أن ذلك تغنيق به أقواتك  
فسيعرض الله عليك خيراً — كما يعرض على الجاني شراً وضييراً . واعلم أن من  
آذاك نخصمه الله . ومن خاصمه الله فالنار مأواه .

اللهم إني أنا ومن أطاعتك من الحاضرين . وأخلص لك النية مع المحاصرين  
تتبرأ إليك من فعل السفهاء ، فلا تؤاخذنا بما فعلوا . وخصهم وحدثهم بنقمتك  
وعذابك . وظهر أرضك من رجسهم وذنوبهم . فانهم شياطين الانس  
يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً . وأنزل عليهم المصائب ظاهرة  
حتى يزدجر غيرهم . فقد آمنوا بكرك وعذابك بحمامك عنهم . ولا يأمن مكر  
الله إلا القوم الخاسرون .

استهانوا بشريعتك فأقسموا الأيمان كاذبة يستحيلون بها ما حرمته عليهم .  
وعمدوا الى أرزاق عبادك فخاربوك باتلافها . فأنت تصالح وهم يفسدون .  
وأنت تحلم وهم يحجلون .

الاهم أرنا فهم نوعاً من عذابك — به يزدجر الطاغى — ويعلمون المليم .  
وحاشا أن يمجرك شيء في الأرض ولا في السماء . إنك على كل شيء قدير .  
وأنت نعم المرئى ونعم النصير .

## (٢٩) معاونة الأشرار وآثارها

مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عامة وواجبة على الكفاية .  
طرق ردع الظالم . التستر على المجرمين وجزاؤه العاجل والآجل ودليل ذلك .  
تقريع وتأنيب المعتسهاين بأوامر الدين . الشفاعة للأشقياء وجزاؤها ودليل  
ذلك . نعمة الأمن تلى نعمة الدين . مهمة الحكومات توفير الأمن بالروح  
الانسانى . كثرة الجرائم مرجعها الى تستر الناس على المجرمين ومحاباتهم لهم .  
ضرب مثل بنوح وابنه فى عدم العطف على الشقى وقطع صلة الأبوّة به . الدفاع  
عن الظالم إن نفعه فى الدنيا فلن ينفعه فى الآخرة ودليل ذلك من الكتاب .  
الحث على التقوى والوقوف عند حدود الله .

قال الله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون  
بالمعروف وينهون عن المنكر . وأولئك هم المفلحون » .  
... أمر الله تعالى المسلمين فى هذه الآية الكريمة أن يكون فىهم جماعة  
مهمتهم أمر الناس بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر . ولا يحل ذلك بقية المساكين  
من أداء هذا الواجب .

فكل مسلم واجب عليه إذا رأى أحداً ارتكب منكراً قولاً أو فعلاً

أن يرده لتصحيحه . فإذا امتنع عن قبولها والعمل بها وجب على جماعة المسلمين أن يقاطعوه ويعملوا على اتقاء شره مهما كان نسبه فيهم - ومنزاته بينهم : فإذا لم يشجع هذا الدواء سلموه الى العدالة والقانون ليقتص منه .

ويكون عملهم هذا تنفيذاً لأوامر الله وبعداً عن غضبه . فان المسلمين اذا تستروا على مجرم وحابوه عطفاً عليه - أو خوفاً من شره - أو مراعاةً لجانب أهله - أو شك الله أن يعذبهم جميعاً بالعذاب - وأن يطردهم عن أبواب رحمته ويلعنهم وتلعنهم الملائكة جزاء على معاوتهم للمجرمين : سنة الله مع الأمم السابقة . وهو الذي يقول :

« لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم - ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه - لبئس ما كانوا يفعلون » .

فقد بين سبحانه وتعالى أنه لعن بني اسرائيل حين اعتدوا ولم ينه عقلاؤهم منغفاهم عن الخطايا والذنوب .

فتى يفتق المسمون من هذه الغفلة ؟ ومتى يخاصون الله في دينهم ، ومتى ينفذون شريعة نبيهم ؟ ! ! فقد ورد : من أعان ظالماً - لم يأت الله عليه : وذلك بأن يستفحل أمر ذلك الظالم فلا يقف في عدوانه وظلمه عند حد - بل يكون من أعانه ضحية من ضحاياه .

فلا ينبغي أن يكون للمجرمين شفعاء يقفون بديهم وبين حدود الله . فمن شفع للمجرم شفاعته كانت له نصيب من كل ذنب فعله ذلك المجرم . جزاء له على تعطيل حدود الله - وجزاء له على مساعدة المعتدين . مجدداً نقوله تعالى : « من يشفع شفاعته حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعته

سيئة يكن له كمثل منها وكان الله على كل شيء مقبلاً .  
هذا . واعلموا أن أعظم نعمة على الناس بعد نعمة الدين هي نعمة الأمن  
على الأرواح وعلى الأموال وعلى الأعراض : وحفظ الأمن واجب ديني . وذلك  
قامت بأمره كل حكومة ليكون الناس منطمئين .

فاذا ظهر في بلد منفسد يريد أن يعكر على الناس صفو حياتهم وجب  
عليهم أن يتمفوا كلهم سداً في وجهه . لأنه بمنزلة الثعبان الذي ينفت سحومه  
فيهم . وبمنزلة النار إن زكت أحرقتهم . فيكتمفوا شر أذاه قبل أن يعظم  
خلره ، ويتغلير شرره .

وما كثرة الجرائم في البلاد من قتل . وسلب . ونهب . وتقليع  
مزروعات . وحرق محاصيلات . واذتباك حربات . إلا ناشيء عن تهاون  
الناس في شأن المجرمين وتسترهم عليهم ولو عملوا بأمر دينهم وعلموا أن  
التستر على المجرمين يجعلهم شركاء لهم في إجرامهم يستوجبون به غضب  
الجبار — وعذاب النار — كما يستوجبون به الخسة والدناءة وضعف النفوس  
وضعف الدين حيث جاملوا بدينهم من خالف أمر دينهم — لو علموا ذلك كله لما  
داغعوا عن شقي من الأشقياء ولا شفّعوا له . بل لنولوا تأديبه إن استطاعوا .  
وإلا ساموه إلى العدالة تؤدبه كما أسلفنا .

وليعلم كل من يشفع في شقي أنه لم يعمل بذلك عملاً صالحاً . وإنما حال بن عدو  
من أعداء الله . وبين تنفيذ حد من حدود الله . وكأ أنه حارب ربه بهذه الشناعة .  
وكأنه فتح بذلك باب الغضب واللعنة على نفسه — وعلى من رضى بعمله .

هذه هي تعاليم الدين . فاذا كنتم مؤمنين تخافون نزول سخط الله عليكم  
فلا تدافعوا عن شقي مهما كانت قرابته منكم : وانظروا إلى نوح عليه السلام

حين كلم ربه في أمر ابنه ، وكان ابنه من الأشقياء بقوله : « رب إن ابني من أهلي . وإن وعدك الحق . وأنت أحكم الحاكمين » وكيف رد الله عليه بقوله : « يانوح إنه ليس من أهلك - إنه عمل غير صالح - فلا تسألن ما ليس لك به علم - إني أعظك أن تكون من الجاهلين » .

فقد حكم رب العزة بانقطاع النسب بين الأب وابن ، لشقاوة ذلك الابن الأثيم - فكذلك فافعلوا بمن يرتكب من أبنائكم أو أقاربكم فعلا منكرا يخالف الدين - فتهربوا منه ولا تعطوهوا عليه واتركوه تقتص منه يد العدالة . وبذلك تخدمونه وتخدمون أنفسكم : أما هو فيؤدبه القانون ، وأما أنتم فمن شره تستريحون ، وعلى أنفسكم وأموالكم تأمنون .

فلا تدافعوا عن شقي لتخاصوه من جزاء ما ارتكب ، ولا تجادلوا عنه بالباطل فإن هذا الجدال إن نفعه في الدنيا فسيكون ومالا عليه وعلى المجادلين عنه يوم القيامة : مصداقاً لقوله تعالى : « ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ؟ أم من يكون عليهم وكيلا ؟ ! » .

فاتقوا الله في أنفسكم ، ولا تخشوا في الله لومة لائم ، واعلموا أنه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وأن من أصاح ما بينه وبين الله كنفاء الله ما بينه وبين الناس ، ومن أعز دين الله - أعز الله ، ومن تهاون بدين الله أهانه الله ، ومن أهانه الله فالنار مثواء ، وكان يوم القيامة من الخاسرين .

أصلح الله تعالى بالدين قلوبنا . وأخلص في النية إليه أعمالنا .

إنه ولي المتقين .



## ( ٣٠ ) شياطين الانس

### وضررهم على المجتمع الإنساني

مضمون الآية الكريمة . المفسدون للناس هم شياطين الانس . عوامل الاغواء أربعة « شياطين الانس - شياطين الجن - النفس الأمارة بالسوء - زخارف الدنيا » العلامات التي يعرف بها شياطين الانس « ظهورهم بمظهر الصلاح والتقوى . تلونهم . عدم مبالاةهم بارتكاب المعاصي والآثام . عيبتهم على الناس وكلهم عيوب . غشهم . نهم . كذبهم . حلفهم ودليل ذلك من الكتاب . فرحهم بمصائب الناس وشتماتهم بهم » شياطين الانس أعداء الانسانية - أعداء لأنفسهم . أعداء لله ورسوله . علامات المسلمين حقا . نداء للتخيير بين الخير والشر

قال الله تعالى : « وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله . إن يتبعرن إلا الظن وإن هم إلا يخرصون . إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » .

..... هكذا يقول رب العزة عن خلقه وهو عليم بهم :  
إن الانسان إذا تصفح الناس وجدهم جميعاً « إلا قليلاً منهم » استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة - وضلوا عن طريق الهدى - ولو تابعتهم غيرهم لأضلوه . والحقيقة أن الناس يفسد بعضهم بعضاً . ورؤساء الضلال هم شياطين الانس - إذا خالطهم رجل مستقيم أضلوه عن طريق الهدى بما يوسوسون له وبما يزينونه من زخارف القول حتى يقع في شركهم فيصبح ضالاً مثلهم : والناس بلاء الناس . ومن ورأهم شياطين الجن - وشهوات النفس وزينة

الدنيا : كل أولئك أعوان لشياطين الانس يكثرون ضحاياهم .

وإن لشياطين الانس هؤلاء علامات يعرفون بها وسمات يتميزون بها .  
فأنت تراهم يلبسون ثياب الصلاح ظاهرياً وقلوبهم مملوءة بالبغض والحسد للناس  
لا يفتأون يخلقون الوقيعة والفتن والدسائس بين خلق الله بما يترونه من الكذب  
والبهتان . يقابلون هذا بوجه . وذلك بوجه آخر . فإذا ناقشتهم الحساب -  
وعرفتهم الصواب - اعتذروا لك بعمادير اختلقوها - وأخاديع ابتدعوها .  
ومن علاماتهم عدم المبالاة بارتكاب المعاص والآثام - ومحاربة الملك  
القدوس السلام - كأنهم نسوا أن بعد الدنيا داراً يلاقي فيها المحسن جزاء  
إحسانه - والمسيء وبال عاقبته وبهتانه .

هؤلاء هم العياون للناس وكلهم عيوب ومخازي - المنتقدون لخلق الله  
وليس فيهم خلة من خلال الخير - غشاشون تمامون - كذابون حلافون .  
يخلفون بالله كاذبين على أوهي الأشياء : ذلك - لأنهم لا يهتمهم إلا أن يرضوا  
عباد الله - ولو بسخط الله . برىء الله منهم ، وبرىء الاسلام من نسبهم اليه .  
« يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم . ويحسبون أنهم على  
شيء . ألا إنهم هم الكاذبون . استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله .  
أولئك حزب الشيطان . ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون »

ومن علاماتهم أنهم يفرحون بمصائب الناس ، ويشمتون بهم عند حلول  
المصائب ، كأنهم أخذوا على الأقدار عهداً ألا تنزل بهم مكروهاً .  
وهم بذلك عدو للإنسانية ، وعدو للمسلمين ، وعدو لأنفسهم . وهم بعد  
ذلك كله أعداء لله ورسوله . لأنهم عاشوا أداة فساد في الأرض ، مخالفين الشريعة  
والعقل . فويل لهم مما كسبت أيديهم ومما اقتزفته نفوسهم من الضلال ، وويل

لهم مما يكسبون .

ألا وإن للمسلمين العياحين علامات يعرفون بها بين الناس . فهم يحبون الخير خلق الله . ويبتعدون عن الأذى لخلق الله ، ولا يخدعون ولا يكرهون خلق الله ، ينصحون في الله ، ويحبون ويبتعدون في الله . ذلك لأنهم يعرفون أن كل أمر خيراً كان أو شراً مفاتيحه بيد الله ، فهم يسمون الأمر الله ، ويتوكلون على الله ويخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ، أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون .

ها نحن أولاء قد بينا لكم طريق الخير وطريق الهلاك ، فمن شاء أن يلقى ربه تقياً طاهراً فليسلك الطريق القويم ، ومن آثر الضلال على الهدى ورضى لنفسه بالخمر ان فأمامه دار جهنم فيها متسع له ولأمثاله من الأشقياء والله عليم بما تصنعون .

جعلنا الله تعالى ممن يسلكون طريق الهدى ، ويبتعدون عن طريق الردى إنه عليم بذات الصدور .

## (٣١) قول النور وصورة وألوانه

الإسلام يكسب صاحبه عزة والمسلمون تتكافأ دماؤهم — كاتم الشهادة عدو لله وحرب على دينه — أضرار كتمان الشهادة وارتباط ذلك بمصالح الناس كاتم الشهادة يؤثر الناس على الله وجزاء ذلك ودليله — أنكى من كاتم الشهادة شاهد الزور وبيان ما أعد له من الجزاء ودليله — شهادة الزور تدل على خسة نفس صاحبها وفقدانه المروءة — ألوان وصور لقول الزور .

قال الله تعالى « ولا تكذبوا الشهادة ومن يكتسبها فإنه آثم قلبه » ، والله بما  
تعملون عليم »

... اعلموا أن الله تعالى اختار لكم الاسلام ديناً ، وجعلكم أمة وسطاً  
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ، وقبل شهادة بيمينكم  
على بعض في الدماء والأموال — لأن الاسلام من شأنه أن يجعل صاحبه حر  
الضمير — لا يخشى غير الله — ولا يشهد إلا بالحق — لا محاباة في الاسلام  
ولا مداخاة . فمن كتم شهادة حق لسبب من الأسباب فهو عدو لله — وحرب  
على شريعة الله — آثم القلب ببعض من الرحمن — وعبد من عبيد الشيطان .  
لأن كتمان الشهادة يترتب عليه تضییع حقوق الناس التي نزلت الشريعة الملهمة  
ضماناً لها ، وحارساً عليها .

نعم كاتم الشهادة مطرود عن رحمة الله ، لأنه استهان بحرمة الله ، وآثر  
رضاء الناس على رضا الله . وجدير بمن كان كذلك أن يحرمه الله ظل رحمته  
يوم القيامة . وأن يذيقه عذاب النار .

وأشد من ذلك ضرراً ، وأسوأ عاقبة وأثراً ، من يحول الشهادة فيشهد  
زوراً ، ويأتي فجوراً ، وهو لا يدري أنه أتى بكبيرة من الكبائر يهتز لها عرش  
الرحمن غضباً ، ويصلي بها يوم الجزاء ويلا وحرباً .

روى البخاري ومسلم عن أبي بكر رضي الله عنه قال : كنا عند رسول  
الله ﷺ فقال : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر : ( ثلاثاً ) الاشرار بالله ،  
وعقوق الوالدين ، ألا وشهادة الزور ، وقول الزور ، وكانت متكئاً فجلس .  
فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت »

فانظروا كيف عدها رسول الله ﷺ من أكبر الكبائر ، وكرر التهويل

في أمرها ، لأن شهادة الزور فضلا عن أنها مسخطة للرب ، مجلبة لعظيم الذنب  
فإنها تدل على خسة نفس صاحبها وانحطاطه وعدم مروءته .

شاهد الزور وضع خسيس ، باع دينه بحطام زائل ومتاع قليل ، وتعرض  
لمسخط الله في جانب رضاء الناس ، ومن أرضى الناس بسخط الله كان عدواً لله  
وملائكته يوم القيامة . لا يقبل الله منه عملاً . هذا من حيث نفسيته وخسرتها  
وجزأؤه عند الله وعقوبته .

أما من حيث الآثار التي تترتب على شهادة ذلك الدنيء فأقلها أنه أضاع  
معالم الحق على المحكام ، وعرض حقوق الناس للضياع وطمس معالم الحقيقة  
بما أتاه من زور وبهتان ، وناهيك بما يترتب على عمل استهزاء صاحبه بعظمة الله  
وجلاله !! وأقل ما يكافأ به أنه سيصل في الآخرة ناراً . وفي الدنيا خزيًا وعارا  
هذا . والزور له مآلات شتى ، وصور لا يأتي عليها العدد . نذكر طائفة  
من مثلها تبين مقدار أثرها في الفساد واتساع هورثها في الضلال .

فهذا ( سمسار ) يروج السلع فيضلل المشتري حتى يحمله على شراء الخبيث  
بثمن الطيب ، والطيب بثمن الخبيث ، مراعيًا في كل هذا الفائدة المادية التي  
تعود عليه ، ولو خرب البيوت بتضليله . وأفقر الأغنياء بهتانه . وأندر من  
الكبريت الأحمر أن ترى ( سمساراً ) صادقاً مع أن هذه المهنة كانت من زمن  
بعيد شريفة . فقد كان « السمسار » يبين عيوب المبيع إن كان فيه عيب حتى  
يكون المشتري على بيئته من الأمر ، فلا غش ولا خداع . أما اليوم ( فالسمسار )  
أخو اللص إن لم يكن شرأ منه وأسوأ أترأ .

وهذا رجل يذهب إلى المحامي لتوكيله في قضيته . فيذهب ذلك المحامي  
ويلبس تلك القضية ثوبا غير ثوبها ويظهرها في نظر العدالة حقاً صرفاً . وهي باطل

صرف يتبرأ الحق منه ، فذلك المحاسي مزور . وربما ترتب على تزويره هذا سلب مال الغير والحكم بترجيح الباطل على الحق ، وربما حمل الغيظ من سلب ماله على ارتكاب جريمة القتل وسفك الدماء .

ومن هذا ما تأتيه المخاطبات الموكول لإيهن اختيار الزوجات كما هو حاصل الآن . وشائع في كثير من الأمصار والبلدان فهن يكن المديح على السخيات . ويلبسنهن من الجمال ما ليس فيهن . فاذا وقعت الواقعة وتم الزواج فهنالك يرى الزوج المؤمن للمخاطبة أنها ارتكبت أشنع الزور في هذا الزواج ، ويترتب على ذلك حياة منغصة وشقاء لا شفاء منه إلا بالفرقة . وفي هذه الفرقة ضياع المال وشحن الصدور بالاحن والبغضاء والعداوة التي ربما جرّت شتماء وويلًا كبيراً . ويجرى هذا الضرب بين رجال العلم ومؤلفاتهم ، فهذا رجل ألف كتاباً وقدمه لأحد أصدقائه . فلا يسع ذلك الصديق إلا أن يفسج ثوبا من الثناء المزور ويسبغه على هذا المؤلف . فاذا أنت قلت له : إن هذا المؤلف لا يستحق ثناءك وإعجابك قال : وماذا أصنع وهو يريدني على أن أؤمّه بنضاه ككتاب مفرد في بابهِ ! ! فهذا تزوير وتزوير ضار . ومن حق العلم على أهله ألا تدخل حظيرته الموارية والمداجاة . بل لا يقال فيه إلا الحق كرامة لمنزلة العلم وأهل العلم وعلى تقيض ذلك من يغمط المؤلفات النافعة حقها . ويبخس مؤلفيها مجهودهم لا شيء إلا أنه يريد أن يحط من منزلة المؤلف لشيء في نفسه مع اعتقاده بإسلامة المؤلف من النقص وإبعده عن النقد الصحيح . ولا يمكنه يأبى إلا أن ينال من المجيدين حتى يقال إنه « نقادة » وما هو إلا حاسد بغيض .

ويقع هذا الضرب من الزور في تعريف الناس بعض بهم ببعض . فهذا صديق جديد تريد أن تعرفه باخوانك وتعرفهم به . فاذا أصغيت إلى المعروف

وقتئذ سمعته يكيل صنوف المدح والثناء ولا يترك صفة من صفات السكالم والذكاء والنبيل وما إلى ذلك حتى يفيضه على المعرّف والمعرف به .

كل هذا يجري بيدنا ولعرف ما فيه من مخالفة الحق ، ولكنها اللياقة والعادة تجعل للزور سبيلاً ولا يحيد عنه .

وناهيك بألوان الزور وصنوفه بين يدي القضاء . بل إن المحاماة ورطالها في عصرنا هذا ( إلا من عصم الله ) إنما يتفاضلون وتطير شهرتهم في الآفاق بمقدار ما أوتوا من المندرة على طمس الحقائق وتصوير الزور في صورة الحق وتصوير الحق في صورة الزور . والقضاة يعرفون كل ذلك ويلحظونه ولا ينكرون منه شيئاً وإن كانوا في الأغلب الأعم لا يقيمون لذلك عند الحكم وزناً . مع أن القاضي والمحامي ورجل النيابة كل أولئك تنحصر مهمتهم في إظهار الحق الذي كثيراً ما يختفي في ظلمات ما يختلعه أصحاب القضايا من الأضاليل والأكاذيب .

وقد يكون السكوت في بعض الحالات قائماً مقام قول الزور . فهذا رجل يستشير في أمر مهم رجلاً آخر فيقول المستشار قولاً كله زور وبهتان . ويسكت جليسه فلا ينبس ببنت شفة وهو عالم أن أقول جليسه زور وباطل . فيعدّ والحالة هذه ذلك الساك مزوراً ، لأن سكوته قائم مقام التصديق لما قاله ذلك المستشار .

والقاعدة التي تعرفك بالزور في كل صنوره . هما تعددت واختلقت ألوانها وهو واضعها أن كل قول أو فعل أو ترك خالف الحقيقة فهو زور لأنه مال بالحقيقة عن أن تظهر وتنبوأ مكانها من الجلاء والوضوح .

جنبنا الله مزلق الزلل . وباعدنا عن الزور والحطل وحبب الينا الحق .  
إنه هو الحق المبين .

## (٢٢) الربا وحكم الله فيه

الربا حرام بمختلف أنواعه . الربا من أسباب ذلة المسلمين حكومة وشعباً . الأجنبي ولا سيما اليونان محترفون بالربا حتى أصبحوا سادة وأصحاب البلاد عبيداً في قراهم . الربا في المدن شديد القسوة مفرط الغلو وإن سهل احتماله . مقارنة بين حال الناس قبل تعاملهم بالربا وبعده . الربا مفسدة للأخلاق ومبعدة للنفوس عن الفضيلة . أخلاق المرابي . سوءات الربا . الحكمة في تحريم الربا . استشهادات دينية في الموضوع ، وصاة للمسلمين في هذا الباب .

قال الله تعالى : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله . ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

... الربا حرام ، حرمه الله سبحانه وتعالى ونهى المسلمين عن التعامل به أخذاً أو إعطاءً أو شهادة أو سعيًا للحصول عليه .

ونحن لا نعرض لموضوع الربا للنبيين تحريمه ، فالقرآن الكريم والسنة والاجماع كل أولئك صريح في تحريمه وتشنيع أمره وإفراده بأحكام خاصة به . وإنما نعرض للربا من ناحيته الاجتماعية فنبين أنه كان سبباً في إذلال المسلمين في مصر وغيرها شعباً وحكومة .

فقد كان الأجنبي ، ولا يزالون ، وبخاصة أفراد اليونانيين منهم يأتون مصر ويندسون في قراها وأمصارها يمتنون المهن الحقيرة أو يبيعون الخمر ، وسرعان ما يجمعون مقادير من المال يجعلونها ثروتهم ، فيعطون المزارعين

ما يحتاجون إليه من المال برباً فاحشاً ، فاذا حلّ موعد السداد أظهروا للمدين لهم ليناً وعظماً ، فيمطّهم ربا ما لهم أو يجدد عقود الاستدانة إلى العام القابل . والأيام تمر تباعاً ، فما هي إلا سنوات قليلة حتى يكون الفلاح المسكين قد خرج من ملكه وانتقلت أطيانه لذلك المرابي الذي يلبس جلد النمر ، وقد أصبح بين الفلاحين مثيراً عظيماً .

وفي كل قرية أو قريتين مرهاب ينهج هذا البيع مع أولئك الفلاسسين البسطاء ، ومن أجل ذلك أصبح أربعة أخماس أطيان مصر في حوزة الأجانب ولا سيما اليونانيين منهم .

هذا ما يختص بنكبة الأفراد في مصر من ويلات الربا ، وقد جراح الخراب والدمار والضعة على كثير من بيوتات كانت تنعم في ظل الرخاء والهناء لولا الربا وويلات الربا .

أما الربا في المدن فهو غريب لتجارزه حدّ المعقول وخروجه عن دائرة العقل والدين والمرابون في المدن أشبه الناس بالوحوش الضارية ، لأنهم يعامون أن الحاجة والعوز في المدن شديداً القسوة ، بل لا يحتملان

ولكن الربا في المدن على شناعته وجسامته لا يترتب عليه من المخاطر ما يترتب عليه في القرى . خصوصاً وقد وجد بالأمصار بنوك للرهن فيرتبن الفقراء نحاساً أو مصوغات أو ملابس أو غير ذلك بمعدل الجنيه الواحد قدراً بسيطاً حيناً لا يصعب سدائه وإن عظم أمره وخطره .

كان الناس في سالف الزمان بعيدين عن أخطار الربا ، يعيشون في بساطة ورضاً وقناعة حتى هبط عليهم أولئك الشياطين شياطين الأجانب وهاجنتهم أوروبا بزینتها وزخرفها . ومد الممدين رواقه عليهم ، وأراد الفقير أن يساوى الغني في

المظهر والملبس وما إليها من مظاهر الترف . فاستدان كل من المرادين واستهانوا  
بديسطة الربح وظنوا أنهم يستطيعون الوفاء بما استدانوا ، فطاش سهمهم وخاب  
فألهم إذ غرقوا في لجج الديون وتضاعف بالربح المطلوب منهم فلم يجدوا إلا  
ما يملكون فباعوا . أو قل فأرغمهم الدائنون على الخروج مما يملكون . فأصبح  
المالك أجيراً والمرابي مالسكا ، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون  
إن الربا لا يقف خطره عند هذا الخراب وعند هذا التل ، ولكنه إلى  
ما تقدم من النتائج الوخيمة ينسد الأخلاق ويباعد بين النفوس وبين الغضبية .  
فالمرابي متحجر القلب فاقد العاطفة مساوب المروءة ، لا يستطيع أقرب  
الناس إليه أن يقترض منه قرضاً شريعياً مهماً كان قليلاً ، لأن المرابي لا تطيب  
نفسه بأخراج مال من يده إلا إذا كسب منه مالا .  
إن الربا ليفسكك أواصر الصداقة والمودة ويبذر بين الناس المتعاملين به  
بذور الشقاق ، فلا رحمة ، ولا شفقة ، ولا قرابة ، ولا مودة ، لأن الربا وضع  
غطاء على القلوب من القسوة ، فجعل ذويه متقاطعين متدابرين غير متعاونين .  
فاذا امتنع التعاون بين قوم فسدت صلاتهم وضائق عيشهم ، وثقلت عليهم  
أعباء الحياة وضاقوا بها زرعا .  
أما إذا تعاون الناس وتعاملوا بالاستدانة الشرعية عند الحاجة واقفين عند  
حدود الله في الأخذ والعطاء ، ظهر شأن المروءة بينهم ، ونبتت أشجار المحبة  
في قلوبهم فأصبحوا إخواناً متصافين ، وأوداء مخلصين ، وهنالک يصفوا العيش  
وتطيب الحياة وتطمئن النفوس ولا يجد الأجنبي المتخلص إليهم سبيلاً .  
إن الله تعالى لم يحرم الربا إلا لما فيه من أدران التقيصة وسوء المغبة  
وخبث الطعنة ولأنه يشل الأيدي العاملة ويكثر الكسالى والمتبطلين ، إذ يكفي

أن يكون لدى الرجل قدر من المال يخرج به للناس بالربا ويعيش منه من غير أن يقدم للنمسة أو للناس عملاً نافعاً يعود عليهم أو عليه بنفع ، ولكنه أخسد إلى الأرض واتبع هواه وعاش من زوائد ذلك المقدار ، وما هو إلا السم الزعاف يطعمه بدون أن يعمل في كسبه عملاً . يأكل هو وأبناؤه من هذه الطعمة الخبيثة ، فيذبت نسله نباتاً خبيثاً ( والذي خبت لا يخرج إلا نكداً )

وإليك طائفة مما ورد على لسان الرسول الكريم في الربا ومضاره ، ففيه مزجر للنفس وتوجيه للهيئة الاجتماعية الإسلامية يوصلها إلى سعادة الدارين .

روى البخاري عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة ، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم ، وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة ، فأقبل الرجل الذي في النهر فخرج فجعل كلما جاء ليخرج رمي في فيه بحجر . فيرجع كما كان فقلت : ما هذا الذي رأيته ؟ قال : آكل الربا .

فهذا تصوير مروع ، ذلك أن آكل الربا ولغ في دماء الناس بسلب أموالهم . فكان حقاً وجديراً به أن يوكل به من يعذبه ولا يمكنه من النجاة والافلات . وهذا شأن كل ما ورد من كلام النبوة على سبيل التشبيه والتخيل ليكون أبلغ في التخويف وأزجر للنفوس .

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : لعن رسول الله ﷺ آكل الربا (١) وموكله (٢) وكاتبه وشاهديه ، وقال هم سواء .

وهذا تحذير لتواطيء جماعة من المسلمين على إتمام عملية الربا حتى إذا خاف الناس العقاب عسر على المرابي أن يجد من يستوثق به لضمان ماله فلا يراي

(١) هو الآخذ للزيادة (٢) الموكل هو الدافع لها

بل يبحث عن سبيل أخرى لتنمية ماله من السبل المشروعة .  
وروى ابن ماجه والحاكم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي  
ﷺ قال : ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة .  
وذلك حيث يقول رب العزة ( يمحى الله الربا ) ومعقول أن تلك تكون  
عاقبته ، فيسلط الله تعالى على المرابي من يضيع عليه رأس ماله ، ثم لا يجد من  
يعينه على رده .

والوارد في باب الربا من الأحاديث الصحيحة كثير لا يأتي عليه العبد  
وناهيك بأنه هو الباب الذي أذن للإمام أن يحارب مرتكبيه ويقتلهم تقتيلا  
حتى يفيئوا إلى أمر الله ، ويتعدوا عنه تائبين .

فيا معشر المساميين قد تبينتم ما في الربا من خراب البيوت وإذلال النفوس  
وضياع الأوطان وتمكين العدو من نواصي المساميين وعرفتم مقدار محوه للفضائل  
النفسية فاجتذبهوا واصبروا عند اللأواء فسيجعل الله بعد عسر يسرا .  
أغنانا الله بحلاله عن حرامه ، وبطاعته عن معصيته وبفضله عن سواه .  
إنه هو الغنى الحميد .



## (٣٣) الزنا

تعريف الزنا . الزنا مقوض للأسس الاجتماعية والعمرائية . خلق الله كل الكائنات من ذكر وأنثى ليحصل الامتزاج والانتاج في جميع الأنواع ليتم بينهما العمران . إمتياز الانسان عن بقية الحيوان . تنوع الانسانية إلى آباء وأجداد وأصهار وأحفاد . الزنا هو الممول الهدام للنظام الالهى المذكور . جريمة الزنا شديدة الخطر . بعيدة الأثر ومثل يوضح ذلك . الزنا يفسد أخلاق البيعة التي ينتشر فيها . من ويلات الزنا إفساده لنظام المجتمع والفضاء على النسل تدريجياً فرفسا هي المثل الحى لفعل ذلك اوباء . غيرة الله على محارم المسلمين أكبر دلالة على خطر الزنا . أضرار الزنا ومصائبه بمرتكبيه . سفك الدماء واستحكام العداء من أثر ذلك الداء الذى هو جريمة الزنا . صيانة الأعراض شعار المسلمين . الزنا دين وكما يدين الفقى يدان . ما أعده الله للزناة فى الدنيا والآخرة . جريمة اللواط . إتيان البهائم . الاستمناء وأخطاره .

قال الله تعالى : ( ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً )

... الزنا هو الفسق والوقاع لما حرمه الله تعالى ، وهو بالغ فى الشناعة والقبح مبلغاً عظيماً ، وإنما عظم أمره لأنه يهدم الأسس الاجتماعية العمرائية التى أرادت حكمة الله بها نظام الكون وتديره . فقد خلق الله من كل زوجين اثنين ليحصل الامتزاج والانتاج فى كل أنواع الحيوان والنبات ، وبهذا ينتظم العالم ويمتد أمده إلى الوقت الذى يريد ضالعه الحكيم .

ومن الحيوان الانسان وهو أشرف أنواع الحيوان وأكرمها على الله . لقوله « ولقد كرمنا بنى آدم » ومن تكريمه له أن لم يتركه فى تناسله بإباحياً

كالحيوان ، وإنما جعل له نظاماً شرعياً ، فهو يختار أنثاه ، ويستبيح لإتيانها بشرية خاصة وضعها له وعابه إياها ، ليكون النسل منتسباً إلى ما أنتجه . وبذلك تتنوع الانسانية إلى آباء وأجداد ، وأصهار وأحفاد ، كل ينسب إلى أصله ليتم بهذا النظام التعاون والتناصر والوراثة والانتساب .

« وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً » « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة » كل هذا لينتسب الابن إلى أبيه ، ويلحق الفرد بذويه .

أما الزنا فهو المعول الهدام لهذا النظام الالهي . فلو أبيع الزنا وتهوون في أمره لأفضى إلى فوضى في التناسل . ولما عرف الابن أباه ، ولغضاعت الموارث ولم تكوّن الأسر والقبائل والشعوب . هذا التنويع العجيب الذى هو ثمرة تكوّن الكون ونظامه .

لهذا كانت جريمة الزنا شديدة الخطر — بعيدة الأثر . أنظر إلى جريمة واحسدة لجرائم الزنا خرج بها إلى الوجود نسل أئيم . فامتدت به يد الزمن وتناسل ، كيف تكون شناعته !! وعلى من تقع تبعته !! وإذا ذهبنا نعدد آثار الزنا وما يفعله في إفساد أخلاق من انتشر فيهم لما استطعنا إلى ذلك عدا . فهو يفسد المروءة . ويذهب بالايان .

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن . ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن . ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ( رواه البخاري ومسلم ) زاد النسائي في روايته « فاذا فعل ذلك فقد خلع ربة الاسلام من عنقه » ( أى خرج عن حدوده التى التزمها )

وما ظنك بقوم لا يغارون على حرمهم . ولا يفزعون لحفظ كرامتهم !!  
لهم ولا ريب كالأنعام بل هم أضل سبيلاً .

وإن من آثار الزنا وإفساده انظام المجتمع أنه يقضى على النسل تدريجياً ،  
فترى الأمة التي ينتشر فيها الزنا يقل عدد إنتاجها — لأن الرجال اعتسأدوا أن  
يستبدلوا بالزوجات خليلات ، لا يعبان بالنسل بل يتخلصن منه ولو بالقتل للجنين  
كما حصل ذلك في فرنسا . فقد انتشر فيها ذلك الوباء حتى أخذت في التناقص  
وضيح المصلحون من ذلك وعرفوا به أنها صائرة إلى الفناء وأمثال هذا الشعب  
بمن يستهينون بأمر الزنا فائدون للكرامة ، عارون عن الغيرة والحمية التي جعلها  
الله دفاعاً عن الحرمات .

ويكفي أن يعلم الانسان مقدار غيرة الله على محارم المسلمين ، وأنه جعل  
عقاباً أليماً لكل من يتهم مسامة ولم يأت برهات قاطع ، حيث يجلد ولا تقبل  
له شهادة أبداً ، إلا إذا نحال وتاب .

ونظرة إلى ما أعد للزاني أو لمن يرمي المحصنات أو لمن يشيع الفاحشة في  
المسلمين تكفي لمعرفةنا أن الله جل شأنه أحاط عفة المسلمين وصيانة أعراضهم  
بسياج من عنايته وحراسته ، فمن يحاول العبث بذلك السياج المتين ، فقد خرج  
عن دائرة الدين .

ثم انظر إلى من يصابون بالأمراض التناسلية . ( كالزهري والسيالات  
والسل الرئوي وضعف الأعصاب ) وما إلى ذلك والبحث عن مصدر هذا وينبوعه  
تجده ناشئاً عن الزنا في الأغلب الأعم . مع أن الحكومات التي لم تأخذ بالشريعة  
الاسلامية في سياسة أممها . وجعلت للمومسات نظاماً خاصاً وهو ما يسمى  
« بالكشف الطبى » لم تستطع بهذه الاحتياطات أن تحول دون تفاقم هذا

الخطر الجسيم .

فالزنا إذا انتشر في أمة أتى على صحبها وكيانها . بله دينها وإيمانها . وإذا انتشر في قرية رأيت قتلا وسفكا للدماء « إن كانت هناك نفوس أبية » ورأيت استخذاء وذلا ومهانة إن كانت هناك نفوس ضعيفة دنية .

وإن قرية يدور أمرها بين هاتين الحالتين لحرية بسخط الله بها . ويفسر لك هذا ما تراه من فقر بعض البلاد التي لا تقيم للعفة وزناً ، بينما ترى أخرى في رخاء . ولا فرق هناك بين القريتين إلا حماية الأعراض أو الاستهانة بها فكم خربت دور واستؤصلت أسر وذلت بلاد وما كان لذلك الخراب ولا لهذا الاستئصال ولا لذلك النذل والضعفة إلا سبب واحد هو الزنا . سواء أسروه أم جهروا به . فهو كالنار في الحطب مها تراكم عليه أكوام منه فهو لا يبدؤ مشتعلاً ومندلع لهيبه حتى يأتي على الأخضر واليابس .

قال رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد « إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله »

فواجب على المسلمين أن يعرفوا أن صيانة الأعراض وحفظ المحارم هو شعار المؤمن ورائد العز والبركة . فيتمسكوا بدينهم . ويأثفوا لحرمهم ويعلموا أن الزنا دين ولا بد من اقتضائه ممن فعله عاجلاً أو آجلاً . فإذا ظهر فيهم بوادر هذه الجريمة فليعملوا على اجتثاث أصولها ، قبل أن يستفحل خطرهما ، وليمسكوا أسننتهم عن الخوض في الأعراض ، فان الخوض في الأعراض ينافي صفة الاسلام وعزة المسلمين .

إن الزنا على ما فيه من هذه المخاطر المادية والأدبية مذهب المال ، مذهب بهاء . والروثق الاسلامي ، وودد إلى البؤس والفقر والشقاء ومخترم للأجل

كل هذا في دار الدنيا مضموماً إليه ما ينتظر الزاني من فضيحة وعار وتقيعة  
وشنار ، وأما عقابه في الآخرة فسخط الله وسوء الحساب وعذاب النار .  
وبئس القرار .

ومن الشنائع المستقبحة جريمة « اللواط » وقد نسبت إلى أول مرتكبيها  
وهم قوم لوط عليه السلام ، وكان من أمرهم أن زلزلت الأرض زلزالها بهم  
فصارت عاليها سافلها ، ثم غشيت بطن من سجيل (١) فأصبحت ديارهم باقماً  
وبيوتهم خاوية بما ظلموا ، وصدق قول الله تعالى عليهم ( فلما جاء أمرنا  
جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك ،  
وما هي من الظالمين بمعيد )

ذلك أن هذه الجريمة تنافي حكمة الله في عمران الأرض ، وهي في الأذواق  
السليمة مستندرة ، تعافها النفوس الطاهرة ، وتشمئز منها الطباع الصحيحة ،  
وتفسد الشباب ، وتضعف الذسل وتقلبه بانصراف الفاسقين إلى قضاء شهواتهم  
في هذه السبيل الخبيثة ، فيجب أن يكون عقابها أليماً حتى تستأصل ، درءاً  
لمفاسدها وأخطارها .

ونحن نحمد الله على أن هذه الجريمة لاستقباحها لا تكاد تظهر في مصر إلا  
في بعض العواصم على قلة .

كذلك جريمة إتيان الإهائم وحكمها حكم اللواط في الحرمة والشناعة ،  
ولا توجد هذه « إن وجدت » إلا في بلاد الريف ولكنها والحمد لله تكاد

---

(١) حجارة صغيرة ، ونص التوراة ، فأرسل الله على « سدوم »

« وهمورة » كبريتاً وناراً من السماء وقلب تلك المدن والدائرة المحيطة بها

(وسدوم وهمورة مدينتان كان يسكنها لوط وقومه)

تكون معدومة بفضل فقد الناس بعضهم لبعض ولأنهم يزوجون أبناءهم عادة في سن مبكرة مما يعصم الفتيان من هذه المنكرات .

ومن الآفات التي تفتك بالشباب فتكا ذريماً عادة « الاستمناء » أو ما يسمى في الشريعة « مجلد عميرة » وهي : استئزال المنى باليد .

وهذه الجريمة خفية ولا يكاد يخلص منها شاب ، بيد أن خطرها شديد فهي تضعف البنية ، وتهدم الجسم للاصابة بالسل الرئوي .

ومن أماراتها أنها تكوّن هالة زرقاء حول العينين ، وزرقة وكودة في الشفتين ، فضلا عن إضعاف الأعصاب ، واصفرار اللون ، ودوام الحزن والسكابة ، وضيق الصدر .

وإذا داوم عليها إنسان أفضت به إلى الخبال والجنون ، إن سلم من مرض السل .

وقد ألف كثير من الأطباء كتباً في بيان مضار هذه العادة ليقف عليها الفتيان والفتيات فيخلص الجميع من براثن هذه الآفة الفتاكة « ومن يهد الله فما له من مضل »

أعزنا الله بعز الاسلام ، وجعلنا بالعفاف والصيانة ، إنه على كل شيء قدير .



## (٣٤) الخمر

تعريف الخمر : الخمر أم الكبار ، العالة في تحريم الخمر وبيان أنها تأتي على العقل الذي هو مناط التكليف ، زهد إشراف العرب في الخمر في جاهليتهم حرصاً على المروءة ، طائفة ممن حرموها على أنفسهم ، أضرار الخمر صحة وأخلاقاً وبالا وكالا . الخمر آفة العمران تفتك بالأجسام أكثر مما تفتك الحروب . منافاة الخمر لمقاصد الدين الحنيف وفضائله وآدابه ، الغرب سبب في انتشار الخمر في بلاد الشرق . التمسك بالدين هو الحصن الحصين وازكن المتين لحماية المسامحة أنارة من كلام النبوة في شأن الخمر وشناعتها شرباً وبيعاً وصناعة .

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والالصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون »

الخمر : كل سائل من شأنه أن يستر العقل ويضيع صوابه ، وقد نهى الله عن الخمر لأنها أم الكبار تشجع الجبان فيرتكب من الجرائم ما لا يستطيع أن يرتكبه وهو في صحوه .

ولما كانت الخمر تطل العقل الذي هو مناط التكليف وبه نور الهداية والفارق بين الحرام والحلال حرمها الله وبالغ في تحريمها ، وانصرف عنها في الجاهلية عدد من عقلاء العرب وأشرفهم ، لأنهم رأوا فيها ما ينافي المروءة والوقار ، فمن حرمها على نفسه طول حياته أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، أخرج ابن عساكر عن أبي العالية الرياحي قال : قيل لأبي بكر الصديق في مجمع من أصحاب رسول الله ﷺ هل شربت الخمر في الجاهلية ؟ فقال : أعوذ بالله ،

فقيس له ، ولم ؟ قال : كنت أصبر عرضي وأحفظ مروءتي . فان من شرب  
الخمر كان منسباً عرضي ومروءتي .

وممن حرمها على نفسه أيضاً عبد الرحمن بن عوف ، والعباس بن مرداس  
وقد قيل له حين كبر ، لو أخذت من الشراب شيئاً فانه يزيد في قوتك ، فقال  
لا أدخل برأسي شيئاً يحول بيني وبين عقلي . وكذلك كان عثمان بن عفان وغيرهم  
قيل : سقى قوم أعرابية مسكراً فألفها . فقالت : أيشرب لساؤكم هذا  
الشراب ؟ قالوا : نعم . قالت : زين ورب الكعبة ، إذا ما يدرى أحدكم من  
أبوه . ولقد صدق الذي قال :

واهجر الخمره إن كنت فتى \* كيف يسعى في جنون من عقل  
وهي فضلاء عن تحريم الدين لها فيها آفات تفسد الأخلاق وتأنى على الصحة  
فتورث الجسم أمراضاً فتاكة ، وبذهابه المال فتورث الفقر والشقاء ، وبذهابها  
ذهاب الرخاء والنعمة والراحة ، وكم خربت دوراً ، وهدمت قسوراً ، وأذلت  
أعزاء وفككت أسراً كانت ترتع في بحبوحة النعيم فأصبحت تتردى في غمرات  
الحاجة والعوز .

إن الخمر آفة العمران ، ولقد تفتك بكثير من الياس أكثر مما تفتك بهم  
الحروب والأوباء ، يرشدك إلى هذا أن بعض الدول الكبرى وهي تدين بغير  
الاسلام ولا ترى في معاطاة الخمر إثمياً ، وقد حرمت على شعوبها الخمر ،  
كما فعلت أمريكا بالأمس ، وإن كانت قد عادت فأباحها بدعوى أن تحريمها  
مصادرة للحرية الفردية ، تلك الحرية التي هي أعز ما وهبه الله للإنسان .

أما دول الأسلام فإن دينها يحظر عليها تعاطيها بل وضع الدين حداً لشاربها  
وهو الجلد . فذلك لأن الدين الأسلامي يريد بالمسلم العزة والكرامة والغنى والوقار

والصحة ، وهذه كلها كنوز الحياة يتمتع بها المسلم قانعاً راضياً شاكراً . ولكن  
الغريبيين وقد دخلوا الشرق وغلبوا أممه على أمرهم جلبوا هذه الآفة الفتاكة  
ونشروها في الديار الإسلامية . ولم تقو حكومات الشرق على منعها . وسرعان  
ما امتلأت حوانيت الخمر بالمسامين فقراء وأغنياء . وساعد الجهل على إتيان  
تلك السموم ، وطاب لهم مراتعها فأثرى الغريبيون الفسباء . وافتقر الأهليون  
البؤساء ، فكنت ولا زلت ترى ذلك الأجنبي يفتدي على بلاد المساميين صعباً وكا  
حقيراً . فيتخذ له حاوتاً صميراً . وبأى بذلك السم الزعاف تهافت عليه الناس  
تهافت الذباب على الشراب . أو تهافت الفراش على النار . فيكرعون من ذلك  
الحميم ، ثم يذهبون فيرتكبون ما حرم الله من سرقة أو سلب أو نهب أو قتل  
أو انتحار . يحصل ذلك وتمتلئ السجون بهؤلاء الأشقياء بين سمع الحكومة  
وبصرها .

ولو أننا عملنا بديننا ، وسرنا في حياتنا على قوانين شرعنا ، لآزدهرت  
البلاد ، وسعدت العباد ، وذهب البلاء ، وعم الرخاء ، وضحت الأبدان ، وعم  
الأمن والأمان ، وكثر المال ، وصلاح الحال ، وانكنا نسينا الله فأنسانا أنفسنا  
وبعدنا عن تعاليم شريعتنا ، فكان جزاؤنا أن ذقنا الوبال والنكال ، وإذا أراد  
الله بقوم سوءاً فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال .

وعلى الجملة فإن مضار الخمر تتناول كما قدمنا ذهاب الصحة والعقل وضياع  
الأموال وإيقاع المرء في الفقر المدقع ، والخراب العاجل ، والموت السريع .  
هذا وقد ورد في سنة رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة في ذم الخمر وتحريمها  
منها ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : لا يزني  
الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن .

ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن .  
وروى ابن ماجة أن رسول الله ﷺ قال : لعن الله الخمر وشاربها وساقبها  
وباتمها ومبتاعها وماصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه .  
مما تقدم نعلم أن الكتاب والسنة وفقها الحكم والنصح للمسلمين ببيان  
لا ريادة بعده لمستزبد ، ومن يهد الله فإله من مضل ، ومن يضل الله فإله  
من هاد ، هداانا الله إلى السبيل الفويحة ، وأطأنا بسياج من توفيقه وعنايته  
وهو سبحانه ولي التوفيق .

## ( ٣٥ ) المواد المخدرة

الأسان أحسن المخلوقات صورة وأكبرها عند الله منزلة — تعاطي  
المخدرات معول يهدم الهيكل الأنسانى — المخدرات سموم تضر الأبدان والمقول  
المخدرات تعرى بالكسل وتؤدى إلى النفاقة والعوز — عدوى المخدرات تنتقل  
إلى الأعباب بالوراثة انتشار المخدرات بمصر إلى درجة عظيمة . جناية الغرب  
على الشرق فى حلب هذه المواد اليه — واجب وزارة الصحة ، وعاماء الوعظ  
والارشاد فى الهي عن هذه الآفة .

قال الله تعالى : ( لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل  
سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون )  
أبداع الله فى الصورة الانسانية ما شاء أن يبدع ، وجعل الانسان أكرم  
مخلوقاته عليه بما منحه من نعمة العقل الذى هو قبس من نوره سبحانه وتعالى  
فكان من الجرم الفادح أن يفسد ما بناه الله ، وأن يعمل على تقويض ذلك البناء

العظيم ، بتعاطيه المواد المخدرة . كالخشيش والأفيون . وما إليها من كل ما يخدّر الجسم وينشعك نشاطه ، ويفسد العقل ويأني على الصحة .  
وهذه المخدرات جميعها على اختلاف أنواعها لا تخلو من السموم ، ولها تأثيرات مفسدة بالأبدان والاعتول والملاسكات فإنها تحرق الدم وتوقف حركته الطبيعية وحينئذ يقع الخلل في توزيع الغذاء على جميع أجزاء البدن فتضعف الأعضاء ويفسد نظام البنية ، وتستولي العلل والأسقام على من يتعاطونها ولذلك تراهم في حانة سيئة يقاسون ألم الاختلال ، ويتحملون مضمض الأمراض تعاو وجوههم الصغيرة ، ويتخلل أجسامهم النحول والذبول . فتتبدل صورهم الحسنة بصور دميمة ، وتغشي نواظرهم سحب تمنعهم من الأبصار ، فاذا أرادوا النظر إلى شيء هملقوا بحدقاتهم وأداروها بين الجفون لعلمها تدرك شيئاً مما وجوهها إليه فترجع خاسئة تسكب المدامع على ما أصابها من الضعف وتمهي العبرات على ما نزل بها من الخيبة والسكائل ، فضلاً عن ضعف صحتهم بعد القوة والنشاط وجبرتهم عن مصدامة أي حادث إذا نزل بهم أدنى مكروه . وجبرهم للراحة والبطالة والكسل . فلا يسعون على معاشهم ولو أجهدهم الفقر ومضهم نصب الاحتياج ينهشهم ناب الفقر فيتقاعون . وقطالهم عيالهم بالسعى فيقعدون حتى إن الواحد من الفقراء يقدم شراء هذه « المواد المخدرة » الضارة على قوته وقوت عياله ومن تازمه نغمتهم من الضعفاء . ويضيق على نفسه ومن معه في المؤونة والكسوة ويوسع على نفسه ( في كيفه ) فلا يبالي شبع وشيعة عائلته معه . أوجاع وجاعوا . مآدام ( مخه عمرانا ) وسيان عنده الغنى والفقر . والثروة والاحتياج ما دام مراعيّاً ( لمزاجه ) فأنا لله وإنا إليه راجعون .  
وقد أثبتت قواعد علم الطب ونظمت التجارب والمشاهدات بأن أمثال

هذه العلل والأمراض الجسدية . ولعاهات والآفات العقلية والنقائص والمذام الخلقية تنتقل من الآباء إلى الأبناء بالتوارث . وعلى هذا فالتدين يتعاطون « المواد المخدرة » الخبيثة لم يختصوا أنفسهم بالاساءة . ولديهم أساءوا إليها وإلى ما يقاسل منهم في مستقبل الأرباب . ثم أنهم بأخلاقهم وأطوارهم وأفكارهم أعدى لعماليتهم وكل من خالهم من الجرب . فكانوا وبالاعظياء على بني النوع الأنساني وأشدت عليه ضرراً من الواء والماعون . فان غاية ما في الوفاء إبادة بعض الأجسام وأما هؤلاء فانهم يببدون الأجسام ويعيتون العقول ويشتتون شمل الآداب . والوفاء لا يبني إلا رسماً عليلاً ثم يزول بزوال الأسباب وهؤلاء لا ينقطع ضررهم بفنائهم — بل يمتد ويدوم كثيراً من الأجيال .

ومع كل ذلك فأنا نرى « المواد المخدرة » تنتشر في البلاد وتتناقلها أبواؤها من المدن إلى الأرياف ، وسماوا استعمالها تمدناً مستحسناً ، وانتقلت بالعدوى من ذوى النعمة والمترفين . إلى الفقراء والمساكين .

ولقد كثر عدد الذين يتعاطونها في بلادنا في هذه الأيام . فلم توجد طائفة من أهل القطر ولا بلد من الأرياف إلا وغرها من أولئك الغوم عدد ليس بالقليل وكثيراً ما صدرت الأراسر والمذمورات من الحكومة تمنع تعاطيها . وحظر الاتجار فيها وتشديد العقاب على المخالفين . ولكننا لانزال نرى بالعمها وآكليها وشاربيها . يجمعون في الأسواق ويقلقون المارة ويشوشون الأفكار ويخادون بالآداب ، ويذتهكون هزيمة الشريعة المطهرة ، ويفسدون أخلاق العامة على رؤوس الأشهاد بدون مبالاة ولا خوف من وعيد ، وقد كثروا جداً وزادوا عن الحد ولم يعتبروا بالجزاء ولم يخافوا من الواحد الأحد .

هذا : ونحن نعجب العجب كله لأن مادة المخدرات بمختلف أنواعها يفد

علينا من الغرب ، كما وفدت الخمر من قبل ، فبلاد اليونان والهند وبعض بلاد الأتراك كآزمير وغيرها تزرع الحشيش والخشخاش ، وتبعث بها في طين الخفاء وبطرق جهنمية إلى هذه الأمة المسكينة ، فتسلبها أموالها وصحتها وهناءها . وتتمتع هذه وتلك بثروة واسعة من مال البلاد التي صارت طعمة للطامعين ولقمة سائنة للآكلين .

وعلاج الأمة من هذه الويلات أن تعنى حكومتها بتعليم أفراد الشعب على لسان وزارة الصحة ما يضرها وما ينفعها في نشرات أسبوعية أو شهرية توزع على البلاد مجاناً كما تعنى بدراسة هذه الآفات في مدارسها . ليعلم الناس مقدار أخطارها وأضرارها حتى إذا بلغ الناشئ أشده ، كان بينه وبينها مانع علمي وراعي خلقي .

كما ينبغي أن يقوم المرشدون بين حين وآخر بالتخويف والتحذير من تعاطي هذه السموم في محاضرتهم ودروسهم وارشادهم ، فان الذكرى تنفع المؤمنين .

أما إذا تركت الحكومة هؤلاء القوم وشأنهم ولم تضيق عليهم توسعوا في الأمر واتسع الخرق على الراقع وذلك مما يعود على البلاد بالفقر واختلال الأمن والضعف العام في الصعقة ، إذ يصبح الناس ما بين مريض ومتقاعد عن العمل ومفضل للراحة والجوع ، ومختل الإدراك فاقد الشعور ، وكل ذلك وبال يعود على البلاد . بالشر والفساد .

كلاً الله البلاد والعباد بعين عنايته ، وعصمها بروح من عنده ، إنه بعباده

رهوف رحيم .

## ٣٦ السرقة وضررها على المجتمع الانساني

تعريف السرقة وبيان أنها عمل أنكرته كل الشرائع وذمه كل الناس — أسرار  
تحريم السرقة — القانون الوضعي المعمول به في مصر ليس كافياً لردع السارقين  
الاقتصادية شاملة المعنى واسعة المدلول والنطاق — المضار الاجتماعية والاقتصادية  
والخلقية والجسمية للسرقة — السرقة أنواع شتى ومرتكبوها طوائف عدة .  
مثل في ذلك — مميزات طائفة النعاين — إشتراك الرجال والنساء في جريمة  
السرقة — واجب الحكومة نحو القضاء على جريمة السرقة — أمانى وآمال .  
نرجو ويرجو معنا كل مسلم أن تحقق في القريب العاجل .

قال الله تعالى : والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا . نكالا  
من الله والله عزيز حكيم .

السرقة هي سلب مال الغير من غير حق شرعى .

والسرقة عمل أنكرته كل الشرائع وذمه كل الناس ، لتعدى السارق أو  
السارقين على ملك الآخرين وسلبهم إياه .

وهي حرام جرمها الله ورسوله ، والسرف في تحريمها أمور منها : أن يعيش  
الناس آمنين على أموالهم وما كسبته أيديهم ، لأنه إذا لم يعاقب السارق بما يجزه  
ويكف يده امتدت يد كل ظالم لا يخاف الله — وكثير ما هم — إلى سلب مال  
ذوى الكسب الصحيح . وفي ذلك من الفوضى والاختلال ما فيه .

ومنها شمول الأمن ، وصون الأرواح ، لأنه إذا أبيضت السرقة تزعزع  
الأمن ، ولم تحفظ الأرواح ، فإن المرء ضنين بأمواله ، حفيظ لها .

ومنها الحث على العمل الذي لاتصلح المدنية بسواه ، فاذا ذهب أولوا البطالة

بأموال ذوي الجود والاجتهاد اكتفوا بها ولم يميلوا قط إلى الكسب بالسبل  
المعصية . وانقبض العاملون عن العمل وانتظموا في سلك الكسالى فتتمطل  
الأعمال ، وتفسد الأحوال ، ويعصير اليسير عسيرا ، وحوار الحياة مريرا ، وذلك  
مثل لعرش السعادة وهدم لبناء المدنية .

والسرقة أكثر الجرائم وجوداً وأوسعها انتشاراً ، لأن القانون الوضعي  
المعمول به في مصر حين لين في جنب هذه الآفة الضارة ، ولو أنه نفذ العقاب  
الشرعي الديني في هذه الجريمة لما رأيت لها أثراً . وإذا رأيت أنه كان نادراً ، إذ  
من الذي يمد يده إلى السرقة وهو يعلم أن جزاءه الذي ينتظره والذي أعد له  
هو قطع تلك اليد الأثيمة ثم يقدم عليها ؟ لا شك أن هذا يكون أكبر رادع  
للسارقين ، وأعظم مانع للمجرمين . لأن هذا الجزاء هو الذي قرره الآله العظيم  
العالم بطباع النفوس الرحيم بالخلق ، وقد جربه المسلمون زمناً طويلاً فنجح  
وأفاد ، ولكن قد شذف فريق من الناس فتوهم أن ذلك قسوة على الانسان فأخذ  
يضع للسارق عقوبات أخرى كالحبس ولكنه لم يفلح في سد ذلك الباب الخطير  
ولا تزال غصبات الاصوص تهاجم الناس حتى في أرقى البلاد تمدنياً  
وأحرصهم على احترام القانون ، وإن ذلك يعد فشلاً عظيماً فيما وضعوه من أنواع  
العقوبة . ألا فليقلعوا عن ذلك الوهم وليعلموا أن الله أرجم بعبادة منجم ، وأن  
اليد التي تعيث في الأرض فساداً هي يدمينة بقاؤها مضر كالعصو الذي يهود  
بقاؤه على الجسم كله بالأذى ، فمن العقل والحكمة بتره حتى تعيش الأمة آمنة  
على نفسها ومالها .

وقد لعن رسول الله ﷺ السارق وجعله مطروداً عن رحمة الله وخارجاً

من حظيرة الدين الاسلامي حيث يقول في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم

والنسائي . عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لعن الله السارق يسرق البيضة فتمقطع يده ، ويسرق الجمل فتمقطع يده .  
ففي هذا الحديث الشريف دليل على أن الدين الاسلامي يعمل دائماً على سد الذرائع وأسباب الفساد ، كما أنه يشير إلى أن سرقة الشيء الصغير تجزى إلى سرقة الشيء الكبير ، وأن الواجب على الآباء عدم التهاون مع الأبناء حتى لا تصير الجريمة خلقاً لهم .

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يزن الزاني حين يزن وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » وزاد النسائي في روايته « فإذا فعل ذلك خلع ربة الاسلام من عنقه » .

هذا وقد علمت مما تقدم أن التعدي على ملك الآخرين وسلبه يمد سرقة وعلى ذلك فمن اعتدى على ملك غيره وحرمه ثمرة جهوده وعمله كان سارقاً ولصاً وليس وصف اللص مقصوراً على من يسطو على منازل الناس انهب أمتعتهم بل اللص هو كل انسان يمتدى على ملك الآخر ويحرمه الاستفادة منه على أي وجه كان .

فالتاجر الذي يخدع المشتري من حيث الوزن أو النوع يكون من غير ريب سارقاً عاشقاً . والتاجر الذي يغلو في رفع أسعار السلع في أزمات الحروب ، وعهود الشدائد يكون حكمه حكم السارق : لأنه تدرع بالظروف العصيبة ، فجعلها وسيلة لأطباء ، فزاد في أثمان ما يبيع بما يخرج عن حد العقل والاعتدال ولولا الضرورة القاسية ما اشترى الناس منه بالثمن الذي فرضه عليهم .  
وأمثال هذا تكلف الحكومة بالقيام في وجهه . ووقوفه عند حده .

كما حصل ذلك إبان الحرب ، إذ جعلت تسعيرة لضروريات الحياة حتى لا يرهق التجار الجشعون جمهور الناس ، ومن المحزن أن نقول إن هؤلاء التجار الجشعين إحتالوا للكسب غير المشروع بحيل عجزت معها الحكومة عن تنفيذهم للتسعيرة التي وضعتها لهم ، فأثرى هؤلاء اللصوص ثراء فاحشاً ، وأصبح بعضهم من أرباب الملايين والضياع ، ونسوا أن ثروتهم الطائلة مهددتها اللصوصية. ومخالفة الشرائع والانسانية ( ألساء ما يفعلون )

والصانع الذي يقدم للناس عملاً منقوصاً غير متمين يكون متعدياً على حق غيره وسارقاً .

والعامل الذي يتولى في عمله ويضيع وقته سدى في أثناء غياب صاحب العمل يكون متعدياً على حق غيره وسارقاً — وصاحب العمل الذي ينقص أجر العامل عما يجب أن يكون عليه يكون متعدياً على حق غيره وسارقاً .

أما من يتجنب ذلك وأمثاله ويتعفف عنه فهو الأمين الذي يراعى لكل ذي حق حقه ، ولا تمتد يده لشيء لا يملكه .

وليس السارق وحده هو الخائن بل يشاركه في الجرم كل من يساعده على السرقة بتشجيعه أو باخفاء المسروق .

فالرجل الذي يدفع أجر القطار أو السيارة أو الترام مثلاً ولا يقضى العامل « التذكرة » يعد خائناً ، لأنه شجع ذلك العامل على اغتصاب مال الحكومة أو الشركة — والذي يدفع بعض الثمن ولا يأخذ التذكرة شريك في السرقة .

والحارس الذي يتغافل عن اللصوص وهم يسرقون شريك لهم في جرمهم يعاقب معهم أمام القانون .

ومضار السرقة كثيرة إجتماعية ، واقتصادية ، وخلقية ، وجسمية .

فمن مضارها الاجتماعية إختلال الأمن العام ، إذ كل مالك يصبح غير مطمئن على ماله ويخاف من اعتداء السارقين عليه . ومد أيديهم الأثيمة إليه . فتقع بينهم العداوة والبغضاء ، ويتربص كل بصاحبه الدوائر وينزل به الأذى ، ومن مضارها الاقتصادية أن بها تضيع الأموال بامتداد أيدي ذوى الاطماع السافلة اليها والعبث بالأموال التى اكتسبها الناس بعملهم ، وادخروها لمصلحتهم .

ومن مضارها الخلقية كثرة البطالة الذميمة . لاعتماد السارقين على ما يسرقونه وتركهم الكسب من السبل الصحيحة ، فينفذ الماملون عن العمل ، وتختل شؤون الحياة

ومن مضارها الجسمية فقد الأرواح ، إذ المرأ ضنين بأهواله حفيظ عليها . فيدافع عنها ما استطاع ، كما يدافع من عرضه ، فتنشأ المشاجرات ، وتراق السماء ونزهق الأرواح .

والسرقة أنواع شتى ، ومرتكبوها طوائف عدّة ، تخصص كل فريق بسرقة نوع مخصوص .

فمنهم من يسرق الماشية ليس غير ، ومنهم من يسرق خزائن المال ، وهؤلاء على علم بالمواد الكيميائية يستعينون بها على فك لحام الخزائن منها كان نوعها . ومنهم المهاجمون ، وهم سراق المنازل يصطنعون المناسبات ، أو اللافتة . وهى آلة صغيرة لا يستعصى عليها قفل منها كان نوعه .

ومنهم الهنافون ، وهؤلاء يعمرون على الحوانيت التى قد وضعت شيئاً من أمتعتها خارج الحانوت عرضة للناظرين ، فاذا مرّ أحدهم كانت كالنسيم العابر والسهم المارق يلتقط شيئاً ثم يغيب عن الأبصار كأنما ابتلعته الأرض ، وكثير ما عم

ومنهم الفخاذون ، وهؤلاء يدخلون متاجر الأقمشة الحريرية أو الصوفية أو ماشاكلة . وقد وضوا مشابك في أحزمة على بلونهم . فيدخل أحدهم الثوب الحريري تحت ثوبه معلقاً بأحد المشابك ، بينما الثاني يشاغل التاجر ، ثم يخرجان وليس مهاباً شيء في ظاهر الأمر .

ومنهم النشالون ، والسارقون بالأكراه ، وأصحاب الطريقة الأمريكية المعروفة ، والخطافون والمستعينون بالكوروفوم والمواد المخدرة إلى غير ذلك من العارق الغربية المدهشة .

ومن مميزات هذه الطائفة سرعة اليد ، وسرعة الخاطر وشدة الذكاء ، وقوة الدهاء .

وليست حوادث السرقة قاصرة على الرجال . بل هناك فئة من الصبية والنساء ، قد تلقوا أساليبهم المختلفة على أخطر أساتذة (النشل) فبرعوا في ارتكاب هذه الجرائم بفضل تدريبهم ، فأصبحوا من أمهر النشالين ، وأخطر المجرمين .

والواجب على الحكومة إذا أرادت أن تقلل من جريمة السرقة أن تشدد العقوبة على السارقين وأن تنكس بهم تنكساً يعتبر به غيرهم ، وأن تذيبهم أنواع الآلام وتنفذ فيهم الحكم الاسلامي الذي أثبتت التجارب أنه هو الدواء الوحيد لقطع هذه الجريمة من الوجود .

وهذا أمر مستطاع ، لاسيما وقد عمت هذه البلوى في جميع المدن والقرى في القطر المصري الذي هو منار الشرق ، والقذوة لجميع الممالك الاسلامية في العالم .  
وكم يتمنى المسلم حقاً لو يكون الاسلام وأحكامه وتعاليمه هو القانون المعمول به ، إذا لتلاشت تلك الحمازى ، ولتظهرت تلك البلاد من هذه الأرجاس

التي تقض على الناس مضاجعهم ، وتهددهم في الأموال والأرواح .  
ولنا لوائقون أن اليوم الذي تنفذ فيه الممالك الاسلامية أحكام الشريعة  
وفي طليعتها المملكة المصرية غير بعيد ، وبخاصة وقد قامت المملكة الحجازية  
السعودية بالعمل بالشريعة الاسلامية الغراء في تنفيذ حدود الله في السارقين  
وقطاع الطرق وانطارجين على أحكام الدين ، فاستتب الأمن في ربوعها . وعم  
الرخاء جنباتها ، وأصبحت مشرق النور وعلم الهداية ، ولا بد من أن تحذو  
ممالك الاسلام حذوها فيعود للمسلمين مجدهم وعزهم والله يهدي من يشاء إلى  
صراط مستقيم .

## ٣٧ خطر ذى الوجهن وذى اللسانين ديناً واجتماعياً

تصوير بياني لذي الوجهن وذى اللسانين . وجود هذا النوع في زمن  
الرسالة والخلع الله ورسوله على نوايا المنافقين وما أعد لهم دنيا وأخرى . خطر  
ذوي الوجهن وذوي اللسانين في الشعوب الضعيفة . ومما ألهم للغاصبين وإعانتهم  
على ضياع حرية بلادهم في مقابلة ثراء يكافئون به من سادتهم المتغلبين . آفة  
الشرق وجود الأذئاب الذين يناصرون الغاصبين وما يجب على كل أمة من أهم  
الشرق أن تتجرد للقضاء على هؤلاء الأذئاب . المنافقون في الوطنية مصدر كل شر  
كما أن المنافقين في الدين كانوا مصدر كل شر وحرب . مشابهة بين عمل المنافقين  
في الوطنية وبين عمل المنافقين في زمن الرسالة . والآثار المتشابهة في الحالين .  
انتشار النفاق والاحصاف كثير من المسلمين به حتى عم بلاؤه سببه إفهام الخطباء  
الناس أن دينهم صلاة وصوم وعبادة ولا يفهمونهم أن الدين يعني بالمعاملات  
أكثر من عنايته بالعبادات . سلاح المقاطعة جزاء للمنافقين وطنية ودينا .

قال الله تعالى : ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد .

لسنا في هذا المقام بسبيل الكلام على تعريف النفاق ، ولا بسبيل بيان أضراره ، وإنما كلامنا الآن في نوع منه خليل يقع فيه أكثر الناس وهم يجهلون أنهم يخوضون في بحار النفاق دون أن ينتبهوا ، عادة مرن عليها الناس وألفها بعضهم من بعض .

هذا النوع الخليل هو نفاق ذي الوجهين الذي عناه الرسول الكريم ﷺ بقوله في حديث رواه البخاري ومسلم : ( وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه .

فالإنسان في الحقيقة ونفس الأمر لا يكون له وجهان ولا لسانان ، وإنما إذا تكلم مع قوم كلاما وتكلم مع آخرين كلاما يغير ويضاد كلامه الأول بقصد إظهار الصدور ، وتوليد الشرور ، كان ذلك منزلا منزلة من في لسانان .

كذلك إذا لقي الناس بوجه ولقي آخرين بعكسه وضده كان هذا بمنزلة وصورة من له وجهان ، وإنما من كان هذا شأنه أشد الناس خطراً لأنه يخفي الحقيقة ويظهر ضدها . أو يرضى الناس إذا حضروا ويعضبهم إذا غابوا .

روى البخاري عن محمد بن زيد أن ناساً قالوا لجده عبد الله بن عمر رضي الله عنه : إنا لندخل على سلطاننا فنقول بخلاف ما تتكلم إذا خرجنا من عنده ، فقال : كننا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ .

كان على هذه الشاكلة قوم من منافقي العرب الذين يسكنون المدينة

وما جاورها دخلوا في الإسلام بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ، وانحازوا خفية إلى أحبار اليهود المجاورين لهم . يمدونهم بأفانين من الكذب لمعاداة الرسول والمؤمنين وهؤلاء كانوا سوساً ينخر في شعبة الإسلام ، وكان الله تعالى يطلع رسوله على خفايا أمورهم ليكون هو والمؤمنون منهم على حذر .

فأنت تسمع قوله تعالى : ( ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم )

تسمع ذلك فتري هذا النوع الخبيث من الناس فتعرف مقدار خطر هذا النوع منهم . وأنت الله قد أعد لهم أنسكى أنواع العذاب بمضيحة الخزي ووصفهم بين الناس بالسوء والشر في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب أليم .

روى أبو داود وابن حبان في صحيحه ( من كان له وجهان في الدنيا كان نه يوم القيامة لسانان من نار )

وقد بين الله سبحانه وتعالى طريقة المنافقين إذ ذاك فقال : وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا . وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون . ومن أجل أن المنافقين كانوا خلطاء المسالمين والمعدودين منهم ، وبحكم ذلك يطلعون على أسرارهم والخطط التي يضعها الرسول لمحاربة المشركين فيفشونها ، كانوا لهذا أشد خطراً من الأعداء الصرخاء ، ولولا أن الله تعالى عاصم نبيه ومؤيد دينه - ولو كره المشركون ، لولا أنه كذلك لكانت فتنة المنافقين قد أطفأت هذه الدعوة وأتت عليها ، هذا ما قصه علينا رب العزة من أمر هؤلاء وقد كانوا ذوي وجهين ولسانين ، وإنا لك لتري هذا الضرب من الناس في عصرنا هذا وتبينه جلياً في الأمم المغلوبة على أمرها ، حيث ترى فريقاً من

المنافقين في الوطنية يسارعون إلى الغاصبين يتملقونهم ويتقربون إليهم باظهار  
وواضع الضعف في أمتهم ، وكيف يستولي الغاصبون على موارد هذه الأمم  
يفعلون ، هذا لقاء مال يشرون به بعد عدم ، فاذا اتقلبوا إلى مواطنيهم أظهروا  
الوطنية وأنهم يعملون على نفع بلادهم ، فهم يخادعون شعوبهم ، ويوالون أعداءهم  
وهم في الحقيقة على بلادهم شر من أعدائها الغاصبين ، لأن الأمة تستطيع على  
كل حال أن تتقى عدوها الصريح وليسكنها لا تستطيع أن تتقى هؤلاء الأوغاد  
الذين يعملون في الخفاء على النكابة ببلادهم وبينها يبيع السلع ، وإن الأسف  
ليملأ قلب المؤمن وهو يرى كل أمة شرقية مسالمة وقد قبض على تلايديها غاصب  
من أمم الغرب لا عون لهم ولا قوة إلا أبناء هذه البلاد ، فالغاصب ينظر بعين  
الخائنين ويبتاش بأيديهم ويتوصل إلى ما ربه بموتهم .

فاو أن أمم الأسلام قضت على عناصر النفاق كل في وطنه وطهرت البلاد  
من هؤلاء الأذئاب الذين تجردوا من الضمير والدين والشرف ، إذن لسادت أمم  
الأسلام وعلت مكانتها .

نعم إن المنافقين في الوطنية لا تجنى البلاد منهم إلا شراً ، كما أن المنافقين  
في الدين كان المسلمون لا يجنون منهم إلا شراً .

يقول الله تعالى في شأنهم وقد عزم المسلمون على الخروج للغزو ( لو خرجوا  
فيكم ما زادوكم إلا (١) خبالاً ٢٠ ) ولاوضعوا خلالكم ينفونكم الفتنة ٣٠ وفيكم  
سمعون لهم والله عليم بالظالمين )

فبين سبحانه وتعالى أن هؤلاء المنافقين تنتقل العدوى منهم إلى الضعفاء

١ - فساداً وشراً . ٢ - اسرعوا بينكم بانارة الفتنة بالتميمة أو الهزيمة ٣ - ضعفاء في

اسلامهم يسمعون لهم ويتبعون في خيالاتهم .

في إسلامهم ، فيكون وجودهم بين المسلمين كالوباء والجرب المعدى .  
وكذلك شأن المارقين في الوطنية يسمعون أفسكار الضعفاء من المواطنين  
ويصورون لهم الباطل في صورة الحق ، والبهرج في صورة الصريح .  
وهذه المدوى الأخلاقية التي منشؤها جرائم النفاق هي التي فككت رابطة  
المسلمين وفصمت عدى الجماعة ، وهي التي سهلت لهم سبل التقاعد عن العمل  
الموصل للسعادة ، سواء في ذلك المنفعة الدنيوية ، أم المنفعة الدنيوية .  
ولإنما بيننا ضرر النفاق في الجماعات وفي الأمور السكّانية لأن نتيجته أخطر  
وأسوأ عاقبة من نتيجته في الأفراد .

تصاحب الرجل تحسبه متديناً لأنك تراه يغشى المساجد ويؤدى المكتوبة  
وغيرها مما يقع برأى ومسمع من الخلق وتسمع لإليه فاذا حديث لا تنسكركه  
فتظن أن الرجل مؤمن ، فاذا خالطته في معاملة رأيت أنك كنت مخدوعاً وأن  
تلك المظاهر كانت برقاً خلباً ، وأن ضميره خلو من صريح الأيمان ، نفاق فيما  
يأكل من حلال أو حرام ، وتهاون في أداء ما عليه للناس ، وتهاون بأمر الدين  
كله ، فكل مظاهرة رياء في رياء .

وتصاحب آخر فتراه على هذه الشاكلة أو أشد نكراً ، وهكذا . . .  
وربما كان سبب هذا تقصير بعض خطباء هذا العصر في إفهام الناس حقيقة  
الدين الإسلامي وتعريفهم أن الصلاة والصوم وما إليها مما يتعلق بالعبادة البدنية  
هو كل شيء ، فأصبح المسلم يعتقد أنه متى أدى هذه الأعمال ولو صورياً فقد  
أدى جميع ما يطلب منه .

وكان عليهم أن يعنوا بتعريفهم أن الدين هو العقيدة والعمل معاً ، بمعنى أن  
المسلم يجب أن يكون قلبه طاهراً من كل رذيلة ، منطوياً على كل فضيلة ، وفي

مقدمة ذلك كله أن الله تعالى لا يعبا بعمل ما لم يكن خالصاً من كل شائبة وأن يعرفهم أن المسلم لا يرجو إلا الله ، ولا يخاف إلا الله ، ولا يعلق أملاً إلا بالله ، وأن جميع ما يلاقيه الإنسان من خير أو شر قد فرغ الله منه ، فلو أن أهل الأرض قاطبة حاولوا أن يمنحوه ما لم يسبق علم الله به لما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، ولو اجتمعوا كذلك ليضروه بأمر لم يسبق به القضاء لما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

قال تعالى : ( ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ، ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور )

إذا عرف كل فرد من المسلمين ذلك ، وأيقن أن الدين الأسلامي الحنيف يمتنى بالمعاملات أكثر من عنايته بالعبادات ، رعاية لمصالح العباد ، وقف الجميع عند حدود دينهم ، وزالت تلك الملامع من نفوسهم ، وأقاموا بينهم وبين المنافقين سياجا من الاحتقار والازدراء ، فيجازى المحسن على إحسانه كما يجازى المسيء على إساءته .

وصفوة القول أن المنافقين يجب أن يهجروا . ويقاطعوا مقاطعة نامة تشف عن معرفة الناس بحقيقةهم . ليكون ذلك خزياً لهم في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم .

ولما نلجأ مع هؤلاء إلى سلاح المقاطعة لأنه أمضى سلاح يطهر البلاد من شر هؤلاء المنافقين الأوغاد ، فلنا في رسول الله إسوة حسنة ، وقد قاطع الرسول الكريم ﷺ الذين تخلفوا عن الغزاة من غير عذر ، وقاطعهم أصحابه فلم يكلموهم ولم يسلموا عليهم ولم يتعاونوا معهم ، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت

وضاقت عليهم أنفسهم ، وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ، إلى أن تاب الله عليهم  
فأنهت بالتوبة قلوبهم ، وصلاح بذلك أمرهم .

فكذلك ينبغي أن تكون معاملة ملتنا لهؤلاء المارقين من الدين ومن الوطنية  
الخارجين على أمنهم ، حتى يغردوا إلى الأخصاص ، وبهذا تكون الأمة جميعها  
قلباً واحداً ، ولساناً واحداً ، مترابطة في وجه أعدائها ، فتتم لها العزة والنصر  
المبين .

نسأل الله تعالى أن يقي البلاد شر الماكرين ، وأن يظهر قلوب المسامحين  
ويقطع دابر المنافقين ، حتى يمشي الناس في بلادهم وأوطانهم آمنين .

## ٣٨ تذكير الناس بأنعم الله عليهم

كفران الانسان وكرم الرحمن . نعمة العقل . نعمة الايمان والاسلام .  
نعمة الأمن . نعمة الصحة . نعمة الولد . نعمة الرزق . نعمة السمع . نعمة البصر  
نعمة الذوق . نعمة اللمس . نعمة الشم . نعمة سلامة الأعضاء . نعمة التوفيق .  
كيف تعرف نعمة التوفيق لمن منحها . كيف يعرف الناس من وهب التوفيق .  
طريق الحصول على نعمة التوفيق . نعمة تسخير الله للانسان ما في الارض من  
حيوان وجماد وماء وهواء وغير ذلك مما لا سبيل إلى حصره وعده  
شكر النعم التقرب بها إلى الله . توفيق العبد الى الشكر نعمة تستوجب  
الشكر أيضاً فالعجز عن أداء شكر النعم شكر .

قال الله تعالى « وفي أنفسكم ، أفلا تبصرون ؟ »

... لقد غمر الله الناس بوفاء نعمه ، وجزيل احسانه وكرمه ، وكان ينبغي

في نظر العقل أن يقابلوا إحسان مولايم بالشكر والعرفان ، بدل أن يقابلوه بالاعراض والكمران . لأن نعم الله عليهم لا يحيط بها العد ، ولا يفي بشكرها أحد فما ألام الانسان ، وما أكرم الرحمن .

فكم من نعمة الله على عبد شاكر وغير شاكر . وفي مقدمة هذه النعم نعمة العقل . وهي قوام جميع النعم . وبها يكون الانسان إنساناً ، فقد ورد . لكل شيء دعامة . ودعامة عمل المرء عقله . فبقدر عقله تكون عبادته لربه . أما سمعتم قول الفجار ( لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ) .

وقال أنوشروان لبرزجر . أي الأشياء خير للمرء . قال : عقل يعيش به قال : فان لم يكن ، قال : فاخوان يسترون عيبه . قال : فان لم يكن . قال : فماك يتحجب به إلى الناس ، قال : فان لم يكن ، قال : فمعي صامت قال : فان لم يكن . قال : فوت جارف .

ونعمة الايمان والاسلام التي نظمتها في سلك خير الأمم . وهي الأمة الحمدية قال الله تعالى : ( إن الدين عند الله الاسلام ) ( ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه . وهو في الآخرة من الخاسرين ) .

ونعمة الأمن . وهي أعظم نعمة بعد الايمان . إذ لا يطيب عيش ولا تنهناً حياة ولا تلد معيشة من غير أن يكون الانسان آمناً في بلاده . أو في داره . على روحه وماله ، غير مهدد بالموت أو الخوف من أي عدو كان .

ونعمة الصحة . وهي من أعظم النعم التي دونها نعمة الثروة والمال وكل عرض من أعراض الحياة . إذ ما فائدة المال وسعة الجاه لمن كان معتلاً في صحته ! ا تفتابه الأمراض والعلل . ويرى مباحج الحياة فلا يشعر لها بلذة . بل تذوب نفسه حسرات على عدم استطاعته التمتع بها . فاذا أكل أكلاً شهياً تألم منه فأعقبه بالعاقير

الطبية . وهرع إلى الأباء مستغيثاً لينقذوه من هذه الأكلة . وإذا مسه قليل من البرد لازم الفراش أياماً ، فهو من نفسه في شقاء . وأهله من حوله في نصب وعناء .

ونعمة الرزق : وهي أن يشعر العبد بأن الله تعالى سخر له باباً من حلال يكتسب منه ما يقوم بأعباءه وأود من يمولهم في الدنيا من زراعة أو تجارة أو صناعة .

ونعمة الولد إذا رزقه : فيذكر العبد وهو شاكر أن الله تعالى خلق من صلبه نسلاً يعبدون الله ويمرون الأرض ، وتحيا بهم ذكراهم على مس الدهور . وقد يكون من هؤلاء الأبناء ولد صالح فينتفع أبواه بدعائه وعبادته .  
ونعمة الحواس الخمس : وهي حاسة السمع ، وحاسة البصر ، وحاسة الذوق وحاسة اللمس ، وحاسة الشم .

وحاسة السمع التي يسمع بها الإنسان الكلام الذي يدور عليه التخاطب بين الناس في شعوب حياتهم ، فما الكلام إلا هواء يقطع الفم والقصبية الطوائية والشفتان إلى أحرف تؤلف ألفاظاً هي الكلام . كما يدرك بها ما تناسب من الأصوات . كالغناء والموسيقى وتغريد الطيور وكل ما ترتاح إلى سماعه اللبقة البشرية وتلتذبه ، ويدرك بها ما تنافر من الأصوات . كأصوات الخمر والرعد وما إليهما من كل ما تنفر من سماعه الفطرة الانسانية السليمة وتألّم به .

ولو فرضنا وكان الناس جميعاً صماً لعانوا مشاق جسيمة في إفهام بعضهم بعضاً مطالب الحياة ومصالح الجماعة .

والنظر إليك الآن وأنت تحدث أصم . فانك تلاقى من هذا عناء ، فتستعين بالإشارة تارة وترفع الصوت عالياً تارة أخرى فتعلم يقيناً أن حاسة السمع

هي السبيل إلى فلاح الناس مناصد بعضهم ، ولولاها لتعطلت شؤون الحياة أو كادت ، ولعل هذا هو السر في تقديم السمع على البصر دائماً في القرآن الكريم إذا جمعت نعمة السمع والبصر في آية .

يقول الله تعالى : ( إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا )  
« والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون »

كذلك إذا وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بهاتين الصفتين فهو مقدم السمع دائماً على البصر . فيقول : « إنه هو السميع البصير »

وجاسة البصر : هي الحاسة التي يبصر الإنسان بها الأشياء على حقيقتها وألوانها وأشكالها وأحجامها وأوضاعها وسطوحها ويميز بها النور من الظلام والحركة من السكون .

ومن نعم الله على العبد أنه خلق في الرأس منه مكاناً خاصاً تحفظ فيه صور المرئيات التي يراها الإنسان ، فإذا أراد استرجاع صورة مما رآه طلب إلى هذه الخزانة إرجاع هذه الصورة إلى الخيال فيردها إليه فيتخيلها مرئية بعين الخيال كما رآها من قبل بعين المشاهدة .

وحاسة الذوق : هي الحاسة التي يميز الإنسان بها الطعوم ، فيأكل شهيهاً . ويعاف رديئها ، ويأدرك هذه الطعوم المختلفة فيما يتناوله الإنسان من فاكهة أو خبز أو لحم أو غيره ، وتميز بعضها عن بعض ، وتلذذه بما يوافق ذوقه ، ونفوره مما يخالفه ، كل هذا نعمة من نعم الله عليه يشعر بالاعتباط بها .

وحاسة اللمس : هي التي يدرك بها الإنسان الحرارة ، والبرودة ، والخشونة والنعومة ، والصلابة ، واللين ، والرطوبة ، واليبس ، والثقيل ، والخفة .

وحاسة الشم : هي الحاسة التي يميز بها الانسان الروائح السكرية ، من الروائح الملية . وقد ثبت علمياً أن لكل شئ ، رائحة تتميز عن روائح سائر الأشياء ، كما ثبت أن حاسة الشم تتفاوت في الحيوان ، فيدرك بعض الحيوان ما لا يدركه الانسان ، حتى إن بعض الكلاب قد امتاز بتكوين خاص في أنفه ، يعظم الرائحة بمكرات خلقية في باطن أنفه . فاذا شم رائحة قدم أو ثوب تعرف عن صاحب هذه القدم أو هذا الثوب مهياً اختلط بغيره .

وبهذه الخاصة العجيبة استخدمت الحكومات نوعاً من الكلاب ودربتها على يد كلابين إخصائين ، فبرعت هذه الكلاب في طريقة التعرف على الاضغوص والمهربين ، والجناة المجرمين . وأصبحت تؤدي عملاً هاماً في أعمال الشرطة ، وصار لها شأن عظيم في الوصول إلى حقائق الحوادث الغامضة . وفي كل يوم نشاهد ونقرأ في الصحف عن آثار هذه الكلاب ، ما يثير الدهشة والاعجاب . حتى دعوا بالكلاب ( البوليسية ) .

وفي هذا ما يرشد إلى أن الله تعالى أودع في هذا الكون من آياته الباهرة ما يحير الألباب ، وما يدرينا لعل في أحقر الحيوان أسراراً لم يكتشفها الانسان بعد ونعمة سلامة الأعضاء : التي بها كمال صورة الانسان وجماله ، يشعر بها صاحبها إذا رأى من أصيب بعاة من العاهات ، كالعرج والاحديداب والشلل وما إليها من كل ما يقبح الصورة في نظر الرائي ، لأن كمال الأعضاء يمكن الانسان من مباشرة كل عمل يرتزق منه في الحياة .

والعيوب الجسمية وإن كانت من الله تعالى إلا أنها لسلامة الكثير من الخلق منها تشوه جمال صاحبها ، وتجعل العيون تنبو عن رؤيته . وقد يعوض الله سبحانه وتعالى أصحاب هذه العيوب مواهب عقلية تقوم

مقام ما حرمه من السلامة ، فهذا الجاحظ ، والزخشمري ، فيلسوفان من فلاسفة الاسلام ، كانا أعرجين حتى قال بعضهم : لولا الأعرجان ، لضاعت بلاغة القرآن وقد تركا مؤلفات زاخرة بالحكمة والنظر الصحيح ولم يبلغ شأوها الكثير من علماء المسلمين ، ممن كملت أعضاؤهم ، وتمت لهم سلامة الجوارح .

ومن أفضل النعم على الانسان ، نعمة التوفيق والهداية إلى الرشاد ، فمن منح هذه النعمة كان من السعداء حقاً ، ومن حرّمها ( والعياذ بالله ) فإنه قد حرم الانتفاع بجميع أنواع النعم .

وهذه النعمة يعرفها الانسان من نفسه كما يعرفها الناس منه ، أما معرفته لها من نفسه ، فذلك بأن يرى في قلبه إنشراحاً وبسلاً وسروراً إذا هم بفعل الخير والطاعات ، فيجد في قلبه برد الراحة والفرح عقب أداء الصلاة والزكاة وما إليهما من التكاليف الشرعية ، وعقب إسداء الاحسان إلى مستحقه ، وبالجملة يشمر بالقبضه كلما عمل عملاً من أنواع البر والتقوى .

وأما معرفة الناس لذلك منه ، فهو أن يعرف بينهم بالصدق في قوله وطهارة الذمة والأدب الديني مع الخلق ، كما يشاهدون منه بشاشة يمازجها لين ورفق واطمئنان ، فان هذه الصفات من صفات المؤمنين ، فمن منحه الله هذه النعمة « نعمة التوفيق » فقد ظفر بمعادتي الدنيا والآخرة .

ولا يدرك هذه النعمة إلا بالرجوع إلى الله . والوقوف عند حدود الله وتبرئ العبد من حوله وقوته . إلى حول الله وقوته . فانه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ومن النعم العظيمة نعمة تسخير الله للانسان ما في الأرض من حيوان وجماد وماء وهواء . وغير ذلك مما لا سبيل إلى حصره . وقد عرفنا بذلك رب العزة

حيث يقول : ( وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . إن الانسان لظلوم كفار )  
ومن حق هذه النعم وغيرها على العبد ألا يستعملها إلا فيما يقربه إلى الله  
زلفى . ويبعده عن مهاوي الضلال . شاكر الله عليها . مؤدياً بشكره حقها .  
وإن كان هذا الشكر نفسه نعمة يجب عليه شكرها .  
نسأل الله تعالى أن يتم علينا نعماءه السابغة . ظاهرة وباطنة . وأن يوفقنا  
إلى العمل بأحكام الدين لنفوز بسعادة الدنيا وسعادة الآخرة . ونكون من  
عباده المتقين . وندخل الجنة بفضلِهِ وكرمه مع الداخلين .

## شكر المنعم (٣٩)

شكر الله على نعمائه من أهم الواجبات ، الشكر تزيد به النعم ، وتستدفع به  
الذم . للشكر سبل شتى وبيان ذلك . الشكر على الحواس والجوارح كل فيما  
يفاسبه . شكر الناس للناس . وجوب شكر المنعم من الخلق قياساً على شكر الله  
لجريان النعمة على يديه . حكاية حال تبين زوال النعم بفقدان الشكر . شكرك لمن  
هو أعلى منك . شكرك لمن يساويك . شكرك لمن هو دونك . ثمرات الشكر بين  
الناس . حكاية حال في ذلك . شكر المنعم يستوجب المزيد ودليل ذلك .  
حكاية الله لقصة مكة وما تمليه من العبر وكيف كان جزاء كفرانهم لنعم الله  
عليهم . الوصاة بالشكر على تنوعه .

قال الله تعالى : فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون .

... إن من أهم الواجبات التي لا بد منها لمن يلمع أن يكون من المتقين الذين  
خصهم الله بكرامته ورضوانه أن يشكر الله تعالى على نعمائه ، وأن يعرف قدرها  
ويؤدي حقها ، فأوجب الشكر شكر الله تعالى ، لأنه أفاض النعم على الانسان

من حيث يعلم ومن حيث لا يعلم ، حتى حارت العقول في وصف بعض نعمه  
والاحاطة بشيء من فضله .

وايس شـكـره تعالى ثمناً لنعمه ، وإنما هو للاستزادة من فضله ، وطلب  
المزيد من كرمه ، قال تعالى : ( لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابي  
لشديد )

ولشكر الله سبل مختلفة وأواع متعددة منها شكره بالاسان ، فنذكره  
بالخير ونثني عليه ، ونكثر الحمد والمدح له ، ويدخل فيه التحدث بالنعم وإظهارها  
ونشرها . قال الله تعالى : « وأما بنعمة ربك فحدث »

ونشكره بالجوارح الأخرى ، بأن نستخدمها فيما خلقت له من عمل صالح  
فاليـد تـعمل وتـعطى ، وتساعد الضعيف ، ولا تسرق ، ولا تؤذي .

والقدم تسعى في طلب الرزق وأعمال البر ، من جهاد ، وحج ، وعبادة  
مرضئى ، ولا تمشى في مكروه يسبب الناس .

والعين تنظر الطريق للخير لتتجه إليه ، وتتقى الشر ، ولا تفتتح لعيوب

الناس وعوراتهم .

والأذن تصغى لما يفيد ويعين على الطاعة كسماع القرآن والمواعظ والعلوم

وما فيه خير ومنفعة ، ولا تصغى إلى الغيبة والكذب والوشاية .

وهكذا يكون لكل نعمة حقها الذى يناسبها من الشكر عليها بالعمل الطيب

وتجنب الخبيث الذى نهى عنه الدين ، ومن أجل هذا يكون شكر ( المال ) صرفه

في أعمال الخير . وشكر ( العلم ) إذاعته بين الناس . وشكر ( الصحة ) الاستماعة

بها على نفع الناس ودفع الأذى عنهم . وشكر ( الجاه والحسب ) مساعدة

الضعفاء في قضاء حاجتهم المشروعة .

وعلى الجملة فشكر الله تعالى هو أن تكون لأوامره ممثلاً ، وانواهيه مجتنباً  
وأن تسعى في إصلاح نفسك وأهلك وقومك ، وألا تدع خيراً تستطيعه  
للناس إلا قدمته ، ولا شراً تقدر دفعه عنهم إلا دفعته ، هذا هو شكر الله  
الحقيقي لا أن تقول كلمات بلسانك ، ليس لها دليل من أعمالك .  
والشكر المتعارف بين الناس هو إظهار النعمة والتحدث بها ، وبسط اللسان  
بالمحمدة والتعظيم للمنعم بها ، والتنويه بذكره ، ورفع قدره .

وقد انعقد الاجماع على وجوب الشكر للمنعم عقلاً وشرعاً ، وأن من أنعم  
أحد عليه وأحسن إليه ولم يحمد ذلك المنعم ويشكر ذلك المحسن يكون جديراً  
بأن يحكم عليه بلأومه وحساسته . وأن يسلب النعمة . وينقطع عنه مددها .  
ولقد أنصف بعض بني أمية . وقد سئل بمد زوال ملكهم . ما كان سبب  
هذا الحادث المجحف بكم . والبلاء النازل عليكم ؟ فقال : قلة شكرنا لله تعالى  
على ما أنعم به علينا . واشتغالنا بذاقتنا عن النظر في مصالحنا وتقويضنا أمورنا  
إلى من لا دين له ولا أمانة عنده . وظلم نوابنا لرعايانا وغفلتنا عنهم . ففسدت  
علينا النيات . واختلف علينا الجند لقلة عطايهم . فاستدعنا أعداؤنا فأجابوهم  
وأعانوهم علينا . واستترت علينا الأخبار . لقلة الأنصار . قال أمرنا إلى ما آل  
ويكون الشكر للأباء . والمرين ومن في منزلتهم . ولمن في منزلة الانسان  
ولمن دونه .

فيكون للأباء والمرين في منزلتهم . باحترامهم ومحبتهم . والاعتراف لهم  
بالتأديب والتربية . ومساعدتهم عند الحاجة . ولقائهم بالبشر والسرور . إذ  
هذا أقل ما يجوزون به على ما أسدوا من معروف لا كفاء له .  
ويكون لمن في منزلة الانسان بالكفاة بمثل فعله أو خير منه . فإذا أهدى

إليك إنسان شيئاً كان شكره أن تهدي إليه مثل هديته أو أحسن منها . وإذا أعانك في ضائقة كنت له عدّة في مثلها .

ويكون لمن دونك بالعطف والأجر . فالفقراء أكثر ما يكونون رغبة في الثواب من مال ونحوه دون عذب القول وجميل الشكر . لأن حاجتهم للمال أشد ورغبتهم فيه أبلغ . على أن في بعض الفقراء من كبرت نفوسهم . وعظمت هممهم وشرفت مقاصدهم . فهؤلاء يطربهم الحمد ويزدهم الشكر ويبلغ من نفوسهم مالا يبلغه المال .

ومن ثمرة الشكر أن تتم به الألفة بين الشاكر والمشكور . وتتوثق المحبة بينهما قال رجل لرجل شكره في معروف أسداه إليه : —

لقد نبتت في القلب منك محبة \* كما نبتت في الراحتين الأصابع  
واصطنع رجل رجلاً فسأله يوماً أن يحبني يا فلان ؟ قال نعم . أحبك حباً  
لو كان فوقك لأظلك . أو كان تحتك لأفلك .

وكما أن شكر المنعم يستدرّ أخلاف الأزياد — فكذلك كفران النعم يعرضها للزوال والنفاد . ويلبس جاحدها ثوب نكران المعروف بين العباد .  
وقديماً خص بالأزياد من شكر . وحل الحرمان بمن كفر « لئن شكرتم لأزيدنكم . ولئن كفرتم إن عذابي لشديد »

وفي قصة مكة وحال أهلها عبرة لمن استبصر . وموعظة لمن تذكر .  
فإن الله تعالى لما أفاض على أهلها سوابغ نعمه . وجعلها بلدآ آمناً وشرقته فوسمه بحرمه . ومنتحهم من لطائف رفقده فضلاً ومنأ . وأوسمهم غاية مسامهم غنى وأمنأ . فقال في كتابه العزيز « أو لم نمكن لهم حرمأً آمناً يجي إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا » ثم بعث من بينهم محمداً ﷺ رسولاً من أنفسهم فدعاهم

إلى الايمان . وتلا عليهم القرآن . وأمرهم بالمعروف . ونهاهم عن المنكر . وحضهم على صلاة الرحم . وحثهم على مكارم الأخلاق فكذبوه وكفروا نعمة الله التي أنعمها عليهم . لما قابلوا هذه النعم كلها بالكفران . سلط عليهم أنواع الانتقام . وضرب بهم المثل لنوى الافهام . فقال سبحانه وتعالى ( وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون )

فاشكروا الله تعالى على ما أعطاكم من فضله ، واشكروا للناس على ما صنعوا إليكم من خيرهم ، وكافئوهم إن قدرتم على ذلك . فقد ورد : لا يشكر الله من لا يشكر الناس . وفقنا الله تعالى للشكر بالعمل والقول إنه على ما يشاء قدير

## (٤٠) أثر القناعة والطمع في حياة الناس

مضمون الآية الكريمة . قليل في قناعة خير من كثير في طمع . الأرزاق مقسومة ودليل ذلك من القرآن . أثر القناعة في النفس والمال والأبناء والدعاء . غواية الشيطان أثرها أكل الخبيث والاستهانة بأوامر الله تعالى وشقاء الأبناء وعدم إجابة الدعاء وغير ذلك . إشادة القرآن والسنة بفضيل القناعة . القناعة وثمراتها . الطمع ونتائجه . نظر الحكيم العاقل في هذا الموقف . عاقبة الطمع .

قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين .

... في هذه الآية الكريمة أمرنا الله تعالى بأن نأكل حلالاً ، ونشرب حلالاً  
وأن نصون أنفسنا عن أكل الحرام . كما أمرنا ألا نتبع خطوات الشيطان .  
لأن متابعة الشيطان توصل إلى عذاب السعير .

ولا يستطيع الانسان أكل الحلال إلا إذا كان قانعاً بما رزقه الله تعالى  
من طهر الكسب وطيب العمل ولو كان قليلاً ، فان القليل مع القناعة والرضا  
خير من الكثير مع الطمع والشره ، لأن القناعة كنز لا يفنى .

ولا ينال المرء فضيلة القناعة إلا إذا راقب الله في كسبه وعمله . ولم يتطلع  
إلى ما في أيدي الناس . علمنا أن الله تعالى قسم الأرزاق بين عباده على وفق  
مشيئته وفضل بعضهم على بعض في الرزق . قال جل شأنه : « أم يقسمون  
رحمة ربك . نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق  
بعض درجات »

فتى عرف الانسان ذلك وقنع بما رزق الله استراح ضميره واطمأن قلبه  
وطاب عيشه ، وحينئذ يكون عمله مقبولاً ودعاؤه مجاباً ورزقه مباركاً ، وتكون  
ذريته أظهاراً لأنهم يأكلون حلالاً طيباً .

وأما إذا اتبع خطوات الشيطان الذي يغريه بالتكالب على الدنيا وجمعها من  
حلال وحرام رغبة في الغنى والثروة ، لا يبالي من أين اكتسب ولا نيم أنفق  
فعندئذ يكون مثله كمثل شارب الماء المالح كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً ، فلا  
يحصّل على أمنية حتى يتطلع إلى غيرها ، فتراه في عناء مستمر ، وتعب دائم  
لا ينتهي إلا بانتهاء حياته ، وهو في كل هذه المدة يأكل الخبيث والطيب  
وأبناؤه على منواله ينبت لهم من مطاعم الشبهات وملوث الكسب ، وكل لحم  
نبت من حرام فالنار أولى به ، وحينئذ يكون عملهم غير مقبول . ودعاؤهم غير

مستجاب ، ورزقهم ليس فيه بركة ولا خير ، ولا يقف الطمع بهم عند حد .  
إذ أن الطمع غريزة بشرية لا يردعها إلا الوقوف عند أوامر الله تعالى ونواهيه  
ولا يدفعه إلا التجمل بفضيلة القناعة .

وقد أشاد القرآن الكريم بفضل القناعة ونهى المؤمنين أن ينجذعوا بالمظاهر  
الكاذبة فيمدنوا أنفسهم بالحرص والشراسة فقال تعالى :

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك  
ثوابا وخير أملا » وقال جل شأنه : ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجنا منهم  
زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ، وقال تعالى : في صفة  
الفقراء الأعفاء : بحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، تعرفهم بسيماهم لا يسألون  
الناس إلحافا »

وكذلك عن الرسول ﷺ بأمر القناعة فأبان خطرها وحث على التحلي بها  
فقال : « ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس » وقال ﷺ  
« من سره أن يكون أعز الناس فليثق الله ، ومن سره أن يكون أغنى الناس  
فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده ، ومن سره أن يكون أقوى الناس  
فليتوكل على الله » فليتخذ المؤمن لنفسه إحدى هاتين الخلتين : —

الأولى — القناعة : وثمراتها الرضا عن الله فيما قسمه له من الأرزاق . واطمئنان  
القلب ، وطيب العيش ، والبركة في الآجال والأرزاق والأبناء ، لأن  
القناعة تجعل صاحبها في مصاف الملوك وإن كان صاعداً فقيراً ، لأنه  
غنى عن كافة الخلق بما منحه الله من فضله .

الثانية — الطمع : ومن ثمراته الشره ، والذل ، وارتكاب ما حرم الله أو شباها  
لشهوات الدنيا ، كما أن من ثمرات الطمع أيضاً التعمب الدائم للقلب ،

وعدم راحة الضمير ، وقد يصل الطمع بصاحبه إلى الاستهانة بالفضائل الأخلاقية والأوامر الإلهية ، ويبعده عن الفلاح إذ لا فلاح مع الحرص والشح القاتلين . ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون .

وليس من الحكمة أن يؤثر الانسان الشقاء على السعادة ، والتعب على الراحة والخبيث على الطيب ، فليتصور الانسان حقيقة موقفه في الدنيا ، وأنه عما قليل تاركها وراحل عنها ، ومسئول عن جهاده فيها ، جامعا لحطامها « وقلمنا يخلو جمعها من أوزار » فمن لم يتدارك أمره وهو في الدنيا فيطعم من خلال ويشرب من خلال ، فقد جرّ على نفسه حسابا ألما في سبيل تمتع غيره بما جمعه ، ولاخير في جهاد عاقبته الحسرة والندامة ، فأخسر الناس صفقة من باع آخرته بدنياه . وأخسر منه من باع آخرته بدنيا غيره .

جملنا الله تعالى بفضيلة القناعة وباعد بيننا وبين الطمع الذي تسوء مغيبته وعاقبته ، إنه هو الموفق للصواب .

